

المرجعية المتميزة

السيد أبو الحسن الموسوي
الأصفهاني أنموذجاً

الشيخ الدكتور عبدالله أحمد اليوسف

المرجعية المتميزة

السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني أنموذجاً

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

سورة المجادلة، الآية: ١١

تقديم

بقلم الباحث والكاتب الكبير /
الشيخ علي محمد علي دخیل حفظه الله

الإمام السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني: إليه انتهت زعامة الطائفة، وكان جديراً بها، لما له من صفات قل أن تجتمع في غيره من: علم، وتقى، وزهد، وإعراض عن الدنيا، وسخاء لا نظير له، واهتمام بشؤون المسلمين، القريبين منه والبعيد، ورعاية من تجب رعايته.

قال الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين: أما السيد أبو الحسن فله في حفظها - يريد الحوزة العلمية - بلاء مشكور، وجهد، كان مركز الثقل في حياتها، وكان عليه المعول في اطرادها واستمرارها، ذلك أنها موصولة منه بسببين وثيقين: هما الناحية العلمية، والناحية المادية المنظمة، فهو من الناحية العلمية مشرف على رواد العلم، يمدهم بروافد من ضلوعته

وتبحره، ويلقنهم من علمه الواسع الدفاق، ما يجعلهم في مصاف الأعلام المحققين من السلف الصالح، فيكونون من حيث يجب أن يكونوا من مقر القيادة الروحية والفتيا، والقيام بالأمر العامة. وهو من الناحية الاقتصادية يجري على طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم رواتب تضمن لهم معاشهم، وتكفيهم مؤونة التفكير بهوم العيش الضيق الذي لا يرد عليهم من الرزق إلا النزر القليل، مما لا يسد مسبغة، ولا يطعم من جوع، وله نظام مطرد يشبه الأنظمة الدولية في إحكامها ودقتها، وسعة صادراتها و وارداتها، وقد عمّت أياديه في ضائقة الحرب فتجاوزت النجف إلى كربلاء والكاظمية وسامراء، ومشهد خراسان، وقم، ثم تجاوزت هذه المدن المقدسة إلى كثير من البلاد العراقية وكثير من بلاد إيران الجديرة بالعناية، ثم تجاوزت الطلاب وأهل العلم إلى طبقات من الصفاة والمكرويين، واليتامى، وأبناء السبيل من المؤمنين^(١).

وقال الإمام الشيخ أغا بزرك الطهراني رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: وكان سيداً جليلاً، وشخصية فذة، وعبقرية نادرة، وذاكرة عجيبة، ويدا سخية، وخلقاً محمدياً، حوى خصال الكمال، وصفات غلب الرجال، فتأهل للزعامة والرئاسة، وتألق نجمه في الأوساط شيئاً فشيئاً حتى انتهت إليه المرجعية التقليدية، فقد طبعت بشهرته

(١) أربعينية الطالبين: ٢ / ٢٩٢.

الآفاق، وأصبح مفتي الشيعة في سائر الأقطار الإسلامية، أدركه الأجل بعد مرض لازمه مدة في الكاظمية، في تاسع ذي الحجة ١٣٦٥ هـ، وقد كان لوفاته صدى عظيماً في العالم الإسلامي وكان تشييع جثمانه من المشاهد التي لم يشهد العراق مثلها، فقد حمل على الرؤوس من بغداد إلى النجف مع غاية التبجيل من عامة الطبقات، حكومة وشعباً، ودفن في النجف بعد وفاته بثلاثة أيام في مقبرة أستاذه الخراساني، فأصبحت له الفواتح في عامة الممالك الإسلامية، ومن قبل جميع الطبقات، وأصدرت عدة من المجلات العربية والفارسية عدداً له يتضمن أحواله، ومكارمه، وخدماته، ومراثيه^(١).

الزهد

وقد أخذه عن أجداده الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام، والأموال تجبى إليه من العالم الإسلامي، وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غري فقد طلقتك ثلاثاً فلا رجعة لك عندي^(٢).

فعن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي عليه السلام يوماً وليس في داره سوى حصير رث، وهو جالس عليه، فقلت: يا

(١) نقباء البشر: ٤٢/١.

(٢) هذا ما أجمع عليه أهل التاريخ والسير.

أمير المؤمنين: أنت ملك المسلمين، والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود، وليس في بيتك سوى هذا الحصر؟

قال: يا سويد: إن الليب لا يتأث في دار النقلة، وأماننا دار المقامة، وقد نقلت إليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها عن قريب.

قال: فأبكاني والله كلامه^(١).

وخرج عليه السلام إلى الناس وعليه إزار مرقوع، فعوتب في لبسه، فقال: يخشع القلب بلبسه، ويقتدي به المؤمن إذا رآه علي^(٢).

وعن سويد بن غفلة، قال: دخلت على علي بن أبي طالب العصر فوجدته جالساً وبين يديه صفيحة فيها لبن خانر، أجد ريحه من شدة حموضته، وفي يديه رغيف أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسره بيده أحياناً، فإذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه، فقال: ادن وأصب من طعامنا هذا، فقلت: إني صائم، فقال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: من منعه الصوم من طعام يشتهيهِ كان حقاً على الله أن يطعمه من طعام الجنة، ويسقيه من شرابها.

(١) تذكرة الخواص: ٦٨.

(٢) مطالب السؤول: ١/ ٩٥ كشف الغمة: ٥٠، صفة الصفوة: ١/ ١٢٣.

قال: فقلت للجارية وهي قائمة بقرب منه: ويحك يا فضة ألا تتقين الله في هذا الشيخ، ألا تنخلون له طعاماً مما أرى فيه من النخالة؟

فقالت: لقد تقدم إلينا أن لا ننخل له طعاماً^(١) إلى مئات الأحاديث.

يصف لنا محمد مهدي الجواهري دار الإمام السيد أبي الحسن الأصفهاني: رأينا أنا وخالد الزهادي جاء من قبل الملك فيصل الأول للاستفسار عن صحته كل ذلك ونحن في طريقنا إلى ما يشبه الزقاق، حيث يوجد بيت قديم، لا يتميز بشيء مما حوله، بيت عادي، لا يخطر ببال من يراه أنه بيت هذا العالم الشاخص (السيد أبو الحسن) جعل خالداً مستغرباً كما لو كان ينتظر أن يطل على قصر منيف، على غرار البيوت الدينية في بغداد ولعجبه ودهشته وجد داره صغيرة لا حارس على بابها، ولا خادم فيها يقف على خدمة هذا العالم الجليل.

طرقنا الباب طرقة خفيفاً فخرج رجل أشيب، كريم الوجه، سلمنا عليه، وأخبرنا أننا أتينا من عند جلالة الملك فيصل إلى السيد للاستفسار عن صحته وعن عينيه الكريمتين.

دعانا إلى الجلوس، وإذا بحصيرة نظيفة فقط في صحن

(١) كشف الغمة: ٤٧.

الدار، وعليها وسادة خفيفة، ومتكأ خفيفاً، وهنالك سلم قصير الدرجات إلى ما يسمى طابق ثان، حيث مقر السيد الإمام، وهو في الواضح طابق لا يرتفع عن الأرض إلا قليلاً، وبعد لحظات نزل السيد بتؤدة، وقد وضح ضمادة على إحدى عينيه....

قلت: جئنا لخدمتك مبعوثين من جلالة الملك فيصل، ويتمنى لك الشفاء... ردّ الرجل علينا بكلمة أو كلمتين: (أهلاً وسهلاً بكم، أبلغاه سلامي) قالها باقتضاب بالغ، فهمنا منه بطبيعة الحال وطبيعة الموقف أنه قد انتهت الزيارة، أشرت إلى خالد إشارة خفيفة، وقلت للسيد أبي الحسن: نستأذن سيدنا، أجاب: مع السلامة، وانتهى كل شيء وخرجنا بعد أن صرنا في الزقاق، وأخذنا طريقنا عائدين، أبدى خالد بشيء من الحماس إعجابه بالسيد الجليل، وبدهشته مما كان، فقد كان يتمنى أن يرى الصولة الصادقة للإمام، الصولة التي كان يتخيلها كما يجب أن يكون عليه الدين والمتدينون، والعبادة والعايد، الزهد والزاهد الصادق فيه، وبساطته إلى جانب مقامه الرفيع، كان مغتبطاً لهذه الزيارة، فقد أعطته الصولة الجليلة التي أَرادها^(١).

دوره في صد المتدعين

وهذا أمر مهم جداً، أكد عليه الرسول الأعظم ﷺ

(١) ذكرياتي: ١/٢٢٦.

الأئمة عليهم السلام (إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه) والواقع أن هذا الأمر لا يتعلق بمراجع التقليد، بل هو متعلق بجميع المسلمين بدليل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).

ونتيجة للجهل، ومساعي الشيطان انحرف البعض عن طريق الاستقامة والسداد، ويحدثنا السيد الأمين عن موضوع عايشه السيد الموسوي وعالجه أحسن علاج، بل وقضى عليه ألا وهو موضوع الغلو، يقول الأمين: ولما ظهر في كركوك ونواحيها عدد كثير يبلغ الألوف من الممتمين إلى ولاء أهل البيت، وذلك بعد تقلص حكم العثمانيين عن تلك الديار، وقد استولى عليهم الجهل، وانتشر فيهم التصوف غير المحمود، والغلو، وجهلوا أحكام الدين الإسلامي وأعماله، أرسل إليهم الدعاة والمرشدين، وعين لهم المشاهرات الوافية، فكان يصل إلى بعضهم خمسمائة روبية في الشهر، عدا ما يرسل إليهم من الخلع والعباءات الفاخرة ليهدوها إلى الرؤساء استمالة لهم، وألف لهم رسالة في أحكام العبادات بالتركية الشائعة بينهم، وطبعها ووزعها عليهم، وبنى لهم المساجد والحسينيات^(٢).

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) أعيان الشيعة: ٢ / ٣٣٢.

وتوقفنا للحج سنة ١٤٢٦ هـ، والتحقنا بالمدينة المنورة بحملة عراقية، حجاجها من المهجرين إلى أوروبا، وبينهم محام وكاتب، أخبرنا بأن أباه كان من هؤلاء.

إن هذه البدعة - بمساعي السيد رضوان الله عليه، وبعض المؤمنين - قد قضى عليها تماماً ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

الفاجعة

وقد اغتالت أيد أثيمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصلي في أحد المساجد الأربعة التي أمر المسلمون بالصلاة فيها، وقد عاودت بعد أربعة عشر قرناً لاغتيال حفيد له وهو يصلي لربه في حرم جده أمير المؤمنين عليه السلام.

إن هذا الحفيد هو السيد حسن الموسوي، نجل الإمام السيد أبي الحسن، وكان رحمته الله المؤهل لأن يخلف والده في زعامة المسلمين لما له من علم وتقى. يصف الفاجعة العالم الجليل الشيخ محمد تقى الفقيه رحمته الله وقد شاهدها قال: وعند ما قتل ولده السيد حسن بين العشائين، وهو خلفه في صلاة الجماعة، ارتبك أئمة الجماعة للحادث، وقيل: إنهم لم يتموا الصلاة، وانفرطت الصفوف، وأما السيد أبو الحسن فإنه صلى

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

العشاء مع عدد يسير، وقد رأيت ذلك وشاهدته، إنه كان لا يأبه بالحوادث، ولا يكثرث بالعظام^(١).

وبعد الفاجعة

تتجلى عبقرية الإمام رضوان الله عليه بمواقف لا يقوى عليها غيره فمن ذلك:

١- خرج السيد في صباح اليوم الثاني لتشيع نجله الشهيد، وجماهير المشيعين خلفه، وفي أثناء سيره شاهد عن بعد شخصاً، فترك السيد التشيع ومضى إليه وناوله مبلغاً من المال، وتبين بعد ذلك أن السيد قد وعد ذلك الشخص بمبلغ معين قبل الفاجعة، فلما لمحّه أسرع إليه، ولم يشغله ما هو فيه من لوعته للمصاب^(٢).

٢- نقل عن الشيخ محمد رضا الطبسي^(٣) أنه طلب من السيد مائة دينار لشراء بيت، فوعده بذلك، وكم كانت دهشة الشيخ حينما ذهب لمجلس الفاتحة المنعقد لابنه الشهيد، إذا بالسيد يأخذ بيده بطريقة لم يلتفت إليها الحاضرون ويضع فيها المبلغ^(٤).

(١) جامعة النجف في عصرها الحاضر: ٧٢.

(٢) نجفيات: ٢١١.

(٣) من علماء النجف الأشرف وأئمة الجماعة، وفاته حدود سنة ١٤٠٤ هـ.

(٤) المصدر: ٢١٢.

٣- والأمر الأعجب ما ذكره الخليلي عن حاكم النجف آنذاك السيد جعفر حمندي، وقد زاره السيد الإمام بعد الفاجعة قال الخليلي: وكانت دهشة الحاكم كبيرة حين رأى المرجع العام يطلب منه أن يسعى بجهده إلى العفو عن المجرم إذا ما تألفت المحكمة الكبرى، وقال: إنه سيكتب إلى المحكمة بخطه مثل هذا الطلب، وقد فعل^(١).

وقد حلّق المؤلف في تاريخ وذكر السيد أبو الحسن وأعطى لمحة متكاملة عن خصائص وحياته هذا المرجع العظيم واهتمامه بالحوزة وطلاب العلوم والأمة، ونأمل من الشيخ الجليل متابعة كتاباته عن أعلامنا العظماء، وإضاءة حافلة عن معظم جوانب سيرتهم.

والله الموفق

(١) هكذا عرفتهم: ١٨/٥.

المقدمة

يعد السيد أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد بن محمد الموسوي الأصفهاني (١٢٨٤-١٣٦٥هـ - ١٨٦٦-١٩٤٥م) من أشهر مراجع التقليد في النصف الأول للقرن العشرين الميلادي، حيث انحصرت المرجعية الدينية فيه بعد وفاة الشيخ الميرزا حسين النائيني سنة ١٣٥٥هـ، ومنذ ذلك الوقت أصبح مرجع المسلمين الشيعة في كل أنحاء العالم بلا منازع.

وقد تميز السيد الأصفهاني بقوة الشخصية، وعبقرية نادرة، ومؤهلات قيادية عالية، وكان كما وصفه معاصره السيد محسن الأمين «رجلاً كبير العقل، واسع العلم والفقّه، بعيد

النظر دقيقه، صائب الرأي، عميق الفكر، حسن التدبير، واسع التفكير، عارفاً بمواقع الأمور، جاهدًا في إصلاح المجتمع - لو استطاع - شفيقاً على عموم الناس، عالي الهمة، سخي النفس، جليل المقدره، عظيم السياسة؛ مضافاً إلى مكانته العلمية في الفقه والاجتهاد، وإن ما حازه من الرياسة العامة كان عن جدارة واستحقاق^(١).

وقال معاصر آخر للسيد الأصفهاني وهو صدر الإسلام محمد أمين الإمامي الخوئي عنه ما نصه: «لم نقف ولا يقف في القرون الأخيرة على من يعادل هذا الرجل الجليل، رجل العلم والعمل، والفضل والعرفان، وهيكلكم القدس والتقوى، ومظهر العدل والورع، في كرامة الشيمه، وحصافة العقل، وسداد الرأي، وسعة النظر، وعلو الهمة، والانحصار في المرجعية والرياسة والروحانية في الأقطار المختلفة من الشرق والغرب، والعرب والعجم، زاده الله ورعاً وعلماً وعزاً وكرامة». ويضيف واصفاً إياه بالقول: «محدث، بليغ التبوع والإحاطة في الفقه، مستقيم الذهن، حسن السليقة، وسيع الفكر، وكان جيد البيان، جميل المعاشرة، ممدوح السيرة»^(٢).

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت -

لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٣٦١.

(٢) مرآة الشرق، الشيخ صدر الإسلام محمد أمين الإمامي الخوئي، مطبعة

ستاره، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ج ١، ص ١٨٣ - ١٨٤.

ويكفي للباحث أن يلقي نظرة فاحصة على سيرته الذاتية، ومسيرته الحياتية، ليكتشف أبعاد هذه الشخصية العظيمة، وقدراتها الكبيرة، ومؤهلاتها المتميزة في عدة جوانب مهمة كالاتجاه في الفقه وأصوله، والقدرة على إدارة المجتمع، وقيادة الأمة، والتأثير على مسار الأحداث السياسية، والتركيز على قيم العلم والعقل والفكر والتعاون... وغيرها من القيم الإسلامية الأصيلة.

وكل بعد من أبعاد شخصية السيد أبو الحسن الأصفهاني بحاجة إلى دراسة وبحث، وقد تناولت في هذه الدراسة المختصرة في الفصل الأول أخلاقيات ومناقب السيد أبو الحسن الأصفهاني، أما الفصل الثاني فقد ركزت على بعد مهم من أبعاد شخصيته المباركة، ومسيرته العلمية الرائدة، وهو بعد مهم جداً في حياة كل الأجيال، ومسيرة الأمم والمجتمعات، وهو العمل على تعزيز قيمة العلم واحترام كافة العلماء، لأن ذلك يؤدي إلى النهوض الحضاري بالأمة، ويرفع من مكانتها العلمية، ويدفع إلى مضاعفة إنجازاتها في شتى حقول المعارف والعلوم المختلفة.

فقد ترك السيد الأصفهاني عليه السلام بصمات واضحة وقوية ومؤثرة في تعزيز قيمة العلم ومكانة العلماء، وهذا ما سأتناوله في هذه الدراسة المختصرة بشيء من التفصيل والتوسع، ثم

نختم هذه الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات والملاحظات والتوصيات المستوحاة من السيرة الشريفة لهذا العالم المشهور بعلمه وعمله، وإخلاصه وتقواه.

سائلاً المولى عز وجل أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعماله، وأن ينفعني به في آخرتي ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ و ٨٩]، إنه - تبارك وتعالى - محط الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله المستعان

عبدالله أحمد اليوسف

الحلة - القطيف

عصر يوم الثلاثاء ٢٦ محرم ١٤٣١ هـ

١٢ يناير ٢٠١٠ م

الفصل الأول

السيد أبو الحسن الأصفهاني
الشخصية والسيرة



بطاقة حياة

ولد السيد أبو الحسن بن السيد محمّد بن السيد عبد الحميد بن السيد محمّد الموسوي الأصفهاني، في قرية «مديس» وهي تبعد قليلاً عن مدينة أصفهان سنة ١٢٨٤هـ.

تلقى دروسه الأولى في مسقط رأسه، ثمّ رحل عنها وهو في أوائل العقد الثاني من عمره إلى أصفهان، فدرس عند أبرز علمائها أمثال الشيخ محمّد الكاشاني، حتّى أتمّ رحلة السطوح، وبدأ بحضور درس البحث الخارج.

هاجر بعدها إلى النجف الأشرف سنة ١٣٠٨هـ، فحضر درس الميرزا حبيب الله الرشتي في الفقه، حتى وفاته، ثمّ لازم الآخوند الخراساني، فحضر دروسه في الفقه والأصول، حتى وفاته سنة ١٣٢٩هـ.

استقل بالتدريس بعد وفاة أستاذه الآخوند الخراساني، وبدأ يشتهر في الأوساط العلمية شيئاً فشيئاً، وأخذت الأنظار تتجه إليه كمجتهد كبير، ومرشح بارز للمرجعية الدينية.

انحصرت المرجعية الدينية في النجف الأشرف فيه بعد وفاة آية الله الميرزا حسين النائيني سنة ١٣٥٥ هـ، فقلده الناس في العراق والبلدان الأخرى، وطبقت شهرته الآفاق، وأصبح مرجع الشيعة ومفتيها في كل أنحاء العالم.

كانت له مواقف سياسية بارزة ومؤثرة في مسيرة الأحداث والتطورات في إيران والعراق، فقد شارك في الهيئة التي شكلت لتولي مهام الإعداد والتخطيط للعمل الجهادي ضدّ الجيوش الروسية أثناء احتلالها لشمال إيران سنة ١٣٢٩ هـ، حيث كان أحد أعضاء هذه الهيئة.

حمل السلاح في ثورة العشرين في العراق، وذهب مع المجاهدين إلى ساحة المعركة، ثمّ عاد إلى النجف الأشرف بإلحاح من زعماء الثوار، كي يقوم بدوره العلمي في الحوزة.

عارض بشدة الانتداب البريطاني، ودعا - مع سائر كبار الفقهاء - إلى إزالة أية سلطة أجنبية عن الحكومة العراقية، وإلى مقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي بعد تشكيل الحكومة في ٣٠ أيلول سنة ١٩٢٢ م، وقرارها السابق على توقيع المعاهدة

مع بريطانيا.

أفتى بحرمة محاربة الأتراك إذا هاجموا العراق في قضية النزاع على مدينة الموصل التي لم تُحسم حتى ذلك الوقت بين العراق وتركيا، حيث كان الإنكليز وراء تحريك المسألة سنة ١٩٢٣م.

خرج على رأس مجموعة من علماء النجف في تظاهرات بعد سقوط الحكومة آنذاك، وقيام عبد المحسن السعدون بتشكيل حكومة جديدة، احتجاجاً على الوضع الذي كانت تعيشه العراق في ذلك الوقت، فقررت السلطات اعتقال المشاركين، فاعتقل أبو الحسن الأصفهاني، والميرزا النائيني، وجرى تسفيرهما إلى إيران سنة ١٣٤١هـ. وبقياً في إيران نحو السنة، ثم عادا إلى العراق.

ابتدأ بعد عودته إلى العراق فترة جديدة من حياته اتسمت بالعمل الثقافي والاجتماعي، والتأكيد على الجانب التعليمي، حيث قام بتأسيس العديد من المدارس الدينية في بغداد والنجف والبصرة و كربلاء، وكان يراعى ويساند مدارس ومؤسسات جمعية «متدى النشر» التي تأسست سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م.

توفي في الكاظمية بالعراق في التاسع من ذي الحجة سنة ١٣٦٥هـ، ونقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف

وودفن هناك. (١)

وله مؤلفات عديدة وكتب مفيدة في الفقه وفي أصول الفقه بالعربية والفارسية، ومنها ما هو مترجم للغة الهندية واللغة التركية، ومنها ما هو مطبوع ومنها ما هو غير مطبوع، وأهم ما عرفناه منها:

أولاً: شرح على كفاية الأصول للمولى محمد كاظم الخراساني في مجلدين.

ثانياً: رسالة وسيلة النجاة الكبرى وهي كتاب فقهي جليل ألفه على العروة الوثقى من تأليف العلامة السيد كاظم اليزدي.

ثالثاً: رسالة وسيلة النجاة الصغرى وهي رسالة فقهية تتضمن الأمور التي يحتاجها الناس.

رابعاً: رسالة ذخيرة العباد طبعت في النجف وطهران سبعين مرة.

خامساً: رسالة ذخيرة الصالحين طبعت ٤٢ مرة.

سادساً: رسالة منتخب الرسائل طبعت ٣٧ مرة.

(١) للمزيد من الاطلاع انظر الكتب التالية: أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، ج ٣، ص ٣٥٩، مستدركات أعيان الشيعة للسيد حسن الأمين ج ١١، ص ١٥، وموسوعة طبقات الفقهاء للشيخ جعفر السبحاني، ج ١/ ١٤، ص ٣١، والموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي، ج ١، ص ١٦١ وغيرها من كتب التراجم والأعلام.

سابعاً: أنيس المقلدين طبعت ٣٤ مرة
ثامناً: صراط النجاة فارسية طبع فارس، والهند ٥ آلاف
طبعة^(١).

تاسعاً: عروة الوثقى طبعات متعددة ٣٠ ألف نسخة.
عاشراً: حاشية العبادات والمناسك ٣٠ طبعة
وهناك كتب أخرى غير مطبوعة.^(٢)

(١) كذا في الأصل، ولعل الصحيح ٥ آلاف نسخة.

(٢) مستدركات أعيان الشيعة، السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ج ١١، ص ١٦.

أخلاقيات ومناقب السيد الأصفهاني

أولاً - أخلاقه

عكس السيد أبو الحسن عن نفسه صوراً رائعة لسمو الخلق، وعلو الهمة، والنبل، والجرأة، والسخاء، وكان لقوة إرادته وعدم مبالاته بمنائيه وخصومه الذين اطردت نسبتهم مع اطراد تقدمه في ميدان الزعامة والشهرة شأن يذكر عند الذين وقفوا على حقيقته، وعند من يقيس أكثر الأمور بمقياس منافع الخاصة وأضراره.^(١)

وللأخلاق دور مهم في ترسيخ المبادئ والقيم والمثل

(١) هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، المكتبة الحيدرية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ج١، ص ١٠٧.

عند الناس، فعندما تكون صورة الزعيم والقائد الديني تعكس أخلاقيات الإسلام فهذا يساعد كثيراً على نشر تلك الأخلاق بين أفراد المجتمع، وهذا ما تجلّى بوضوح في السيرة الأخلاقية للسيد الأصفهاني، ولتسليط الأضواء على تلك السيرة المشرفة نذكر بعض القصص الأخلاقية من سيرته قَدَسَتْ، وكذلك بعض مكارم أخلاقه... وإليك التفصيل:

١- حلم عجيب:

يقول جعفر الخليلي: ذبح ابن السيد أبي الحسن المدعو (بالسيد حسن)، لقد ذبح وهو ساجد يصلي خلف أبيه في أحد صفوف الصلاة المترامة، كما تذبح النعاج وذلك على يد أحد طلاب العلم الذي ثبت جنونه بعد ذلك، فما تحرك الأب من مكانه...! وما علق على ذبح ابنه بشيء غير حوقلة ما سمعها أحد منه أكثر من مرة واحدة...!! وفي اليوم الثاني مشى السيد أبو الحسن مع المشين خلف جنازة ابنه الذبيح، وبعد أداء الصلاة قصد بيت (الآخوند) حيث قضى بضع ساعات هناك لم يره أحد جازعاً، ولا باكياً، ولا متجهماً، وكان لصبره، وحلمه، كما كان لجرأته، وقوة إرادته، الشأن العظيم عند متبعي حركاته وسكناته.

وكنت يوم ذاك أصدر جريدة (الفجر الصادق) في النجف،

فحملتني حقوق الزمالة، والصداقة للشهيد المرحوم (السيد حسن) وحملتني حقوق الجوار، وما وقع من ظلم على هذا الشهيد، ثم إعجابي بالسيد أبي الحسن، كل ذلك قد دفعني إلى أن أعنى بقضية هذا الشهيد، عناية فائقة، وأصدر ملحقاً خاصاً من الجريدة بمقتله، وأسباب هذا القتل، ثم رحت أتبع محاكمة المجرم وأولي أخبار الوفود، ومواكب العزاء التي كانت تقدم النجف بهذه المناسبة من جميع المدن، لقد كنت أولي ذلك اهتماماً فائقاً، فكان ذلك أول حجر أضعه في بناء صلاتي الخاصة بالسيد أبي الحسن، فقد رأيت ذات يوم في الطريق، وحين أقبلت عليه مسلماً تمت ببضع كلمات فهمت منها أنه يسأل عن أحوالي، ولم يكن يفعل ذلك من قبل.^(١)

وتعامل السيد الأصفهاني مع ذبح ابنه يعبر عن حلم وكظم للغیظ لا يحتمله إلا الرجال الكبار، أصحاب القامات السامقة، والإرادة القوية، والقدرة على التحكم في ضبط الأعصاب وتوجيهها.

ومن حلمه أيضاً: إن شخصاً صحب السيد أبو الحسن الأصفهاني في كربلاء بعد صلاة العشاء إلى داره في سوق الزينية، يقول ذلك الشخص: كنت أتكلم في أذنه لا يسمعني

(١) هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، المكتبة الحيدرية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ج ١، ص ١١١-١١٢.

غيره حال المشي والناس في حالة المشي خلفنا يتصورون أن لي مسألة خاصة أسأل بها السيد، وهم كعادتهم جمع غفير ولعله أكثر من مائة شخص من أهل العلم وغيره، وأنا ما كنت أترك مجالاً لأحد أن يتقدم ويسأل السيد، وكان كلامي مع السيد حينئذٍ لا كما يظن الناس أنه سؤال عن مسألة شرعية؛ بل كان صدري مليئاً من الغيظ والحقد، وكان كلامي معه السب والفحش وهو يسمعي وأنا أملي عليه إلى أن أوصلته إلى باب الدار، وعند ذلك قال لي: صبراً قليلاً يا فلان. فذهب ثم جاءني بظرف فيه كمية من الأنواط ذات عشرة من الدنانير وقال لي: هذه بخدمتكم ولكن أوصيكم إن أردتم بعد ذلك مثل هذه سبي وشتمي فلا تتعرض إلى سب الأعراض والنواميس، فيقول شخص السَّاب: فو الله ما أعجبني من صبره وحلمه وما حقرني نفسي من عملي في نفس ذاك اليوم، وعلمت أنه من سلالة سيد المرسلين حقاً.^(١)

ومن حلمه العجيب أيضاً: إنه كثيراً ما كان بعض الناس يقبلون يد السيد وهم يعضون يده الشريفة وعندما يقال للسيد لماذا يعمل هكذا أو لماذا لم تمنعهم من إعطائك اليد؟ ولأي سبب يعملون هكذا؟ كان يقول (رضوان الله عليه): من حقدهم وحسداهم لأنهم جاءوا إلى النجف الأشرف منذ أربعين سنة أو

(١) أذكياء الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٣٩.

أكثر ولم يحصل لهم بموقفية طلب العلم والاجتهاد وها نحن كما ترون فهم يحسدوننا فلا بأس بذلك والحق معهم.^(١)

وقد كان عفوه عن المذنبين معه مضرب المثل حتى كاد أن يطمع الناس فيه أن يسيئوا إليه، ليعفو عنهم ويغدق عليهم بمعروفه، بل كانت هذه فعلاً طريقة بعض الناس الذين يتحرجون لينالوا معروفه، وهو يعلم ذلك منهم، ومع ذلك لا يتأخر عن الإحسان إليهم والعفو عنهم.^(٢)

٢- الزهد عن الدنيا:

مات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولم يترك صفراء ولا بيضاء إلا ما كان عليه من الديون ٣٠٠٠٠ دينار وكان الموجود في محفظته ١٤٠٠٠ دينار والباقي ١٦٠٠٠ دينار نهض بإيوائها جماعة من تجار إيران لما أتوا لأربعينه. ما خلف داراً ولا عقاراً إلا دار سكناه في النجف الأشرف وداراً في كربلاء وداراً أخرى في الكوفة بناها له بعض أهل الخير لا من الحقوق الشرعية.^(٣)

(١) أذكاء الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٤٢ - ٤٣.

(٢) أذكاء الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) أذكاء الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٥٦.

فالمراجع والفقهاء قمة في الزهد عن الدنيا، والورع والتقوى، فبالرغم من الملايين التي تأتيهم من الوجوه الشرعية إلا أنهم يتعففون عن الاعتماد عليها حتى بمقدار الكفاية، ويعيشون معيشة الفقراء والزهاد.

٣- الكرم والجود:

بلغ السيد الأصفهاني في كرم نفسه وسماحة كفه حدًا يتجاوز المألوف في مشاهير أهل الكرم والسماحة، فقد كان ألد شيء عنده في الدنيا - كما كان يقول - أن يجيئه صاحب حاجة فيسأله ما يجده ليعطيه، ولقد أثبت هذا القول بالعمل وزاد.

ومن بوادر سماحته التي ضرب بها المثل صرفه ثمن داره في الخبز لطلاب العلم والفقراء، وقد بذل الثمن أحد الأثرياء لشراء دار لسكناه، وكان يومئذ لا يملك داراً ولا عقاراً وذلك في أول رجوع الناس إليه.

وكل العبارات التي تحضرني في وصف الكرماء السابقين كقولهم: يعطي عطاء من لا يخاف من الفقر؛ فلا أجدها وافية للتعبير عما كان عليه من الكرم والسماحة، وأحسن ما يقال فيه: إنه كان لا يجد للمال قيمة إلا أن يعطى.

ومن الغريب أن أكثر ما كان يصرفه من الأموال الطائلة التي تبلغ في الشهر ثلاثين ألف دينار فأكثر، كان يستدينها بذمته

من التجار ثم يوفيهما لهم نقداً أو بالحوالات على إيران وغيرها، فهو يصرف قبل أن يجد ليجد ما يصرف. ولذلك لما توفي قَدَسَتْ كان في ذمته للتجار ما يقارب ستة وعشرين ألف دينار وقد وفيت بعد وفاته.^(١)

ولم يقتصر كرمه وجوده على المسلمين والمؤمنين، بل كان يساعد كل محتاج ولو كان من غير المسلمين، فقد نقل الشيخ محمد تقي صادق العاملي أن السيد العظيم أرسل له صكاً بمبلغ خمسة آلاف دينار^(٢) على أن يوزعه على المرضى في مستشفى بحنس^(٣). ولما استلم الشيخ محمد تقي الصك أراد أن يستوضح من السيد طريقة توزيعه، فكتب لسماحته: إن في المستشفى من يعتقدون بغير العقيدة الإسلامية، كالصابئة واليهود والنصارى وغيرهم من ذوي العقائد الأخرى، فهل تشملهم هذه المساعدات أم أنها تقتصر على المسلمين فقط؟

فكان الجواب: وزع المبلغ على كل مريض في المستشفى، ولا تعباً لعقيدته، فهم مرضى وبحاجة للمساعدة، ولعل هذه الالتفاتة الكريمة جعلته محبوباً لكل إنسان يتفهم الإنسانية

(١) أذكاء الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢١ - ٢٢.

(٢) وكل دينار يساوي - وقتها - ثلاث دولارات وثلث، وسعر كيلو غرام الذهب الخالص ثلاثمائة دينار.

(٣) مصحح بحنس: مختص للمسلولين في فالوغة بلبنان.

ويسعى لها، وهي سجية أجداده الطاهرين عليهم السلام ^(١).

وتكشف هذه القصة عن الرؤية الإنسانية عند المرجع الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني، ومساعدة كل إنسان محتاج للمساعدة بغض النظر عن دينه أو عرقه أو لغته أو فكره، وهذه السيرة للسيد الأصفهاني تجسيد عملي للسيرة الأخلاقية والإنسانية عند أئمة أهل البيت عليهم السلام.

(١) ذكرياتي: الأعلام الذين عاصرتهم خلال ستين عاماً، حسين الشاكري، مطبعة الغدير، قم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ج ١، ص ٤٨ - ٤٩.



ثانياً - مناقبه وصفاته

تميزت شخصية السيد الأصفهاني
بالكثير من المناقب والصفات الجميلة
والتي جعلت منه مرجعية متميزة في
كل شيء... وإليك البيان:

١- الجهر بالحق:

كان حديث علمه ورجاحة عقله في استنباط الأحكام
الشرعية، وسلامة ذوقه، جعله حديث الناس في جميع مجالسهم
فلم يكن يمر يوم دون أن يذكر له رأي جديد في الأحكام الشرعية،
وتبسيطه الكثير من العقد الفقهية، فهو الذي حكم بأن لكل قطر
أفقه في رؤية الهلال، فإذا لم يثبت هلال ذي الحجة في العراق
فليس من الشرط أن لا يثبت في الحجاز والأقطار الأخرى، وإن
على كل حاج أن يتبع أفق مكة دون الالتفات إلى قطره، وقبل
هذا الحكم كان الجميع في اختلاف كبير بصدد موقف الحاج،

ولربما وقف المسلمون موقفين مغايرين في يوم عرفة لثبوت العيد عند البعض وعدم ثبوته عند البعض الآخر، وإلى حد الآن لا يزال البعض من المسلمين غير متفقين في رؤية الهلال، ولكن الذين يدركون قد اتبعوا رأي السيد أبي الحسن واعتبروا أفق الحجاز هو المقياس الصحيح وليس أفق آخر غيره في ثبوت الهلال وعدم ثبوته وهم في الحج.

والسيد أبو الحسن أول من أفتى بإباحة تأجيل الكفارة من الذبائح في الحج إلى حين حصول القناعة بإمكان الإفادة من لحومها، ذلك لأن (الكفارة) قبل فتوى السيد أبي الحسن كانت تفرض القيام بها حالاً فيجري ذبح الذبائح وتكديس اللحوم بدون انتفاع لكثرتها في مواطن الحج.

وهو الذي كان يرى أن الطهارة تشمل عناصر كثيرة، ومواد كثيرة مما تضيق بها دائرة العلماء الآخرين، فكان لا يستنجس أرباب الأديان الأخرى من أهل الكتاب، وله في ذلك رأي خاص يخالف آراء الكثير من معاصريه من علماء الشيعة، وهو الذي كان ينصح الراغبين بوقف أملاكهم بالعدول عن تنفيذ هذه الرغبة نظراً لكثرة البراهين الدالة على ضياع الوقف، وانتهائه إلى مختلف الأيدي العابثة، وكان يقول بأفضلية الإنفاق في الوجوه المطلوبة عاجلاً والتحرز على قدر الإمكان من الوقف الآيل للتلف والضياع المحتم.

وهو أول مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة من زوج كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات فلم تجد المرأة من ينفق عليها فتولى طلاقها... ولربما كان هذا الحكم هو الأول من نوعه منذ أول قيام الإسلام حتى ذلك اليوم.^(١)

ولا شك أن الشجاعة في التعبير عن الفتاوى المخالفة للمشهور، وخصوصاً في زمان السيد أبي الحسن الأصفهاني يعبر عن شجاعة ذاتية، وجرأة في الجهر بالحق، وإن أدى ذلك إلى سخط الساخطين، فالحق أولى أن يتبع.

٢- علو الهمة:

كان السيد أبو الحسن الأصفهاني يتميز بعلو الهمة، فقد كان علو همته تناطح الثريا، فإنه كان يستصغر كل أمر مهما عظم ولا يجد على نفسه من المستحيل أن يهيمن على أمور جميع الناس بمراده ويديرها بتدبيره، وقد كان بالفعل كذلك فلا يعتمد على أحد سواء في تسيير الشؤون العامة والخاصة. ولا يمكن أن ينسى الإنسان ذلك المنظر المهيب المتواضع في وقت واحد. فإنك كلما دخلت عليه وجدته جالساً على فراشه في غرفته

(١) ظهر لي بعد ذلك أن الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء كان أسبق من السيد أبي الحسن في هذه الفتوى. انظر كتاب هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، المكتبة الحيدرية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ج ١، ص ١٠٥-١٠٦.

الصغيرة التي ليس فيها ثمين يذكر إلا شخصه الكريم بين رزم من الأوراق المتناثرة تحيط به كالهالة، والدواة لا تفارقه، كما لا تفارق طرف خنصره الأيمن بقعة سواد المداد الذي يزود به خاتمه المعلق في صدره ليطبعه بين لحظة وأخرى على جواب استفتاء أو حوالة أو جواب رسالة أو حكم في قضية متنازع فيها أو شهادة أو تحويل في صرف مال أو تصرف في حق أو توكيل شخص في بلده أو شهادة اجتهاد أو نحو ذلك مما يعجز القلم عن عده.

وهو في كل ذلك دائم العمل ليل نهار بلا انقطاع إلا لصلاة أو لمقابلة شخص محترم أو لمحادثة صاحب حاجة أو لهجعة نوم كقبسة العجلان لا تتجاوز الساعتين ولذلك كان نومه غراراً في الليل أو النهار، فهو ينام ساعتين ليستيقظ مثلهما ثم ينام ساعتين أخريين ليستيقظ كذلك وهكذا دواليك في ليله وطرف من نهاره، وكان أحب ساعات اليقظة إليه ساعات ما بعد نصف الليل إذ يخلو بنفسه إلى أعماله ومطالعاته وتأملاته من دون أن يشغله أو يضايقه أحد.^(١)

وهكذا هم رجال الله الذين يبذلون كل جهدهم وطاقاتهم في خدمة الدين والعلم، ولا يمكن للإنسان أن يكون قامة كبيرة

(١) أذكياء الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢٢.

إلا إذا تميز يعلو الهمة، والطموح الكبير، والنشاط المتواصل، وحب العمل والعطاء، واستثمار كل لحظة في خدمة الناس.

٣- الذكاء وحضور الذهن:

كان المرجع الديني الكبير السيد الأصفهاني قُدَسَتْ يعرف الشخص من أول نظرة، فيسبر غوره ويدرك ما تجول به خواطره، ولا ينس الناس مهما تقادم العهد على فراقهم له، أما دقة ملاحظته للاستفتاءات التي ترد إليه على كثرتها وازدحامها، فإنها مما لا يصدق، فقد يستعمل بعض الناس التمويه في الاستفتاء ليجرّ به مغنماً أو ليحق الباطل ويبطل الحق أو ليتستر به ليسرق مال الناس أو مال الله، ولكن السيد الفقيه العظيم لا تنطلي عليه تلك التمويهات فيكشفها من قرائن خفية يعجب منها الإنسان، يعينه على ذلك حضور ذهنه وعدم نسيانه لأصغر الأمور، فينبذ مثل تلك الاستفتاءات أو يجيب عليها بجواب مجمل لا يستفيد فيه السائل لغرضه.

جاءه سؤال عن جواز بيع الوقف الآيل إلى التلف من شخص يشرف على أوقاف عامة لها أهميتها لا أحب أن أذكر اسمه والجواب معروف عن هذا السؤال بإجماع العلماء، ولكن هذا الشخص أراد أن يتذرع بفتوى العلماء ليجرّ مغنم كثيرة له ويتلاعب بالوقف، فجاء إلى أحد معاصريه العظام فأفتى

له بالجواز ثم جاء إلى فقيدنا العظيم فأدرك الهدف من قرينة السائل والمسؤول عنه، فلم يجبه، بل أرسل سرّاً إلى صاحب الفتوى ليستر جمعها منه، فلم يرجع السائل إلى بلده إلا وقد سبقه إليها من ينقذ الفتوى بطريقة طريفة.^(١)

٤- نشاط لا ينقطع:

وفي السنوات العشر الأخيرة - من عمره الشريف - ثقل كاهله بالعمل أكثر وأكثر وصار عليه أن يقابل عدداً كبيراً من الزائرين من أرباب الحاجات، ويقرأ كثيراً من الكتب والاستفتاءات التي كانت ترد من مختلف الأقطار وبمختلف اللغات ويجب عليها بخطه، ولا يسمح لأحد أن ينوب عنه في استعمال خاتمه كائناً من كان، ولقد كان ختمه معه إلى آخر ساعة من حياته، وكان طبيعياً أن يكل، وطبيعياً أن يمرض، ولو كانت أعصابه من حديد، ولقد كان بميسوره أن يرتاح لو كان يريد الراحة، ولكنه أخذ على نفسه أن يضرب الرقم القياسي للعمل، فعمل الكثير مما لا طاقة لغيره أن يعمله وهو في مقتبل العمر، فكيف وهو في آخر مراحل الحياة... لقد زرته مرة وهو محموم وكان يعد نفسه للخروج والصلاة بالناس، وقد كانت النجف تغص بالزائرين الإيرانيين فاقترحت عليه أن يلزم الراحة

(١) أذكياء الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي،

في البيت حرصاً على صحته فأبى، وقال إنك قد لا تدري.. لا تدري أن عدداً كبيراً من زائري العتبات المقدسة يحسب زيارته للعتبات ناقصة غير مقبولة عند الله إذا لم يستطع أن يراني ويأتي بي في صلاته؟ وأن إدخال السرور والإيمان على قلوب أمثال هؤلاء البسطاء من الناس أمر قد يكون في مصاف العناية بالصحة ضرورية..

وساءت صحته في السنوات الأخيرة إذ أن مزاج الشيخ مكدود، مهودود، يقتل ليله ونهاره بالعمل فلا يترك لنفسه فراغاً، أمر لا يدعك تصدق أنه يستطيع أن يبلغ الرابعة والثمانين، وقد بلغ هذا السن وكان إلى ما قبل شهر من وفاته يستطيع أن يؤدي عمله بنشاط غريب، حتى ولو حم وانحرفت صحته.

لقد قلت له قبل شهر وهو في الأعظمية، وكنت قد قصدته عائداً له، قلت له: إنني أراه في صحة جيدة أحسن مما كنت أراه من قبل، وطالما كنت أقول له ذلك حين أزوره عائداً على أثر وعكة خفيفة، أو مرض شديد، فيهش، ويش، ويبدو انتعاشه جلياً لعين الرائي، لقد قلت له وأنا أضحك أن السر في تقدم صحتك مثل هذا التقدم منوط بقدومي أنا الذي يعتبره بعض المتفائلين من أصدقائي قدوم خير، فابتسم، وأشار إلى السماء بعينه ويديه، وحين هممت بالقيام قال:

أرجو أن تزورنا كثيراً كلما تسنح لك الفرصة، قلت أخشى

أن يكون ذلك حباً (بخبر قدومي) وليس حباً بي أنا؟

فضحك وقال (وهب أن الحب من أجل قدومك الميمون أفليست قدمك منك؟) ولم يتح لي أن أراه بعد سفري إلى إيران، وسفره إلى سوريا، ولم تقع عيني بعد هذا إلا على جنازته محمولة على أطراف الأيدي.^(١)

ومن أنشطته اليومية في المجال العلمي: إنه كان يقوم بإعداد محاضرتين في اليوم يلقيهما على طلابه الذين يجتمعون حول منبره في الجامع الهندي، ويبلغ عددهم خمسمائة طالب وفيهم من المشتغلين العدد الكثير.

وإعداد المحاضرة عندنا يستدعي وقت كبير في مراجعة أمهات المصادر الفقهية كالجواهر والوسائل والحدائق وما شاكلها من مطولات الكتب التي تتصفُ برداءة الطبع وكثرة الأغلاط المطبعية، والذين توفقوا من السادة لمطالعتها يدركون عناء المطالع عندما يقبل على قراءتها خصوصاً إذا كان شيخاً يستعين عليها بمنظار مع إبداء رأيه الخاص في كيفية استنباط الحكم من الأدلة، وقد يكون مخالفاً لآراء من قبله فيحتاج إلى إعداد براهين جديدة في مقابل براهين تزيد عليها نظراً لحرية الطالب في مناقشة آراء أستاذه الجديدة في أثناء البحث. وطريقته

(١) هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، المكتبة الحيدرية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ج ١، ص ١١٨-١١٩.

في إلقائها بين المسألة ثم بيان الأدلة الشرعية عليها وآراء السلف فيها، وبعد ذلك يبدي رأيه الخاص مدعماً بالبراهين التي توصل إليها. والذي ينتهي إليه أخيراً يسجل مجرداً عن كل دليل ويطلع منضمّاً إلى نظائره ليرجع إليه مقلدوه، وكتابه (وسيلة النجاة) مشهور في الأقطار الإسلامية عامة وقد طبع عشرات المرات.^(١)

وهذا النشاط الذي لا ينقطع للسيد أبي الحسن الأصفهاني قدس سره يعكس الجهد الذي يبذله الفقهاء والمراجع في خدمة الدين، وهذا ما نشاهده أيضاً في المراجع المعاصرين، حيث يتعبون أنفسهم أشد التعب لخدمة الدين والعلم والإنسان، ويتحملون أكثر من طاقتهم للوصول إلى إنجاز المسؤوليات الدينية والاجتماعية والعلمية.

٥- البصيرة النافذة:

يقول معاصر السيد الأصفهاني الأستاذ جعفر الخليلي: كان السيد الأصفهاني يعرف أين يضع إحسانه ومعروفه وإني لأذكر يوم قامت الشرطة - بناء على طلب مديرية الدعاية العامة التي كانت تعاكس (الهاتف) يومها معاكسة مقصودة

(١) - أذكيا الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢٥.

مخصوصة- بوضع يدها على ما كان لدى الهاتف من ورق لبلوغها أن الهاتف كان يشتري ورقه من السوق السوداء وحين بلغ الأمر مسامع السيد أبي الحسن أمر بحمل الورق المعد لطبع رسالته العملية إلى دار الهاتف لئلا يقف الهاتف عن الصدور في ميعاده، وقد حمله لنا التاجر الحاج مهدي البهبهاني ونشر الهاتف الخبر حينه، وأشار إلى عطف السيد، فقامت قيامة مديرية الدعاية والنشر يوم ذلك، أما (السيد) فقد ساءه نشر الخبر ولا أدري على أي اعتبار؟ لأننا نوهنا بمعرفه أم لأننا عرضنا بمن حاول أن ينكل بنا؟ وكيفما كان فقد عرف وقت إحسانه إلينا معرفة جيدة.

وحين قدم له أحد تجار إيران مبلغاً من المال ليشتري البيت المجاور للمسجد الهندي ويتخذ منه مقبرة يدفن بها عند مماته، تسلم المبلغ وقال ما مضمونه (يا لله من هذه السذاجة التي تدع الناس يفكرون في الإنسان بعد مماته ولا يفكرون به في حياته) وأنفق المبلغ في وجوه أخرى.^(١)

وهذا النوع من التفكير يعبر عن وعي وثقافة متنورة جداً، وعن بصيرة قل نظيرها، فالتفكير في خدمة الإنسان وتوفيره احتياجاته الأساسية قبل موته هو مثال أنموذجي للتفكير الراقى.

(١) هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، المكتبة الحيدرية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ج ١، ص ١١٥-١١٦.

وكذلك التبرع بالورق من أجل إصدار المجالات والصحف بدلاً من طباعة رسالته العملية أكبر دليل على مدى وعي المرجع الأصفهاني بأهمية الإعلام والثقافة في التأثير على الناس، وهو الأمر الذي لا زال البعض من أبناء مجتمعنا لا يعير أهمية لهذا الدور وهو يعيش في الألفية الثالثة!!

خلاصة القول

إن أخلاقيات ومناقب السيد أبو الحسن الأصفهاني عليه السلام كانت تعبر عن أخلاق ومناقب ومثل وقيم الإسلام، كما تعكس أخلاقياته التزامه بالمدرسة الأخلاقية المتميزة لأهل البيت عليهم السلام.

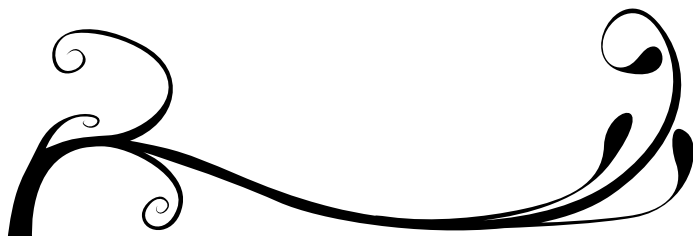
والسيد الأصفهاني - والذي كان المرجع الأعلى في زمانه - يمثل القدوة والأسوة الحسنة لكل عالم أو طالب علم، إذ على المنتسب للعلم وأهله أن يتحلى بأخلاقيات الإسلام وآدابه، وأن يعكس الصورة الحسنة للعالم حتى يكون مؤثراً في المجتمع، ويكون قدوة لمن حوله، فالسلوك العملي للعالم أكثر تأثيراً من الأقوال المجردة، أما عندما يتناقض العالم في تعامله وأخلاقه عما يقوله للناس فإنه بذلك يقدم صورة خاطئة عن شخصية عالم الدين، وهو ما ينعكس سلباً على النظرة الاجتماعية للعالم!

ونحن إذ نستذكر أخلاقيات السيد الأصفهاني علينا أن

نتعلم من سيرته الأخلاقية دروساً في الأخلاق، فنحولها إلى سلوك عملي في حياتنا الاجتماعية، وفي تعاملنا مع الناس، كل الناس.

الفصل الثاني

السيد أبو الحسن الأصفهاني
وتعزيز قيمة العلم ومكانة العلماء



العلم والعلماء

كل مرجع من المراجع الكبار يترك بصماته الواضحة والمؤثرة على عموم أتباعه ومقلديه، بل وعموم المسلمين، لكن المرجع الذي تجمع عليه الأمة في التقليد كما هو حال المرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني بعد وفاة النائي يتضاعف تأثيره في كل شيء، ويصبح القائد الحقيقي لقلوب الناس وعقولهم، لذلك فإن الأبعاد المتعددة لشخصية المرجع تنعكس بصورة إيجابية على الأمة جميعاً، وخصوصاً إذا كانت الأرضية صالحة لنمو التوجيه والإرشاد المرجعي، ولأن شخصية السيد الأصفهاني لم تكن شخصية عادية، بل تتميز بشخصية قوية

ومؤثرة وفذة، فقد ترك كل قول أو فعل
مارسه أثره الفاعل في حياة الناس.

ولأنه لا يمكن لأي أمة أن تنهض حضارياً، أو تتقدم
معرفياً، أو تنافس المجتمعات المتقدمة إلا بالعلم والعلماء، فقد
ركز الإمام الأصفهاني تتبرك على تعزيز قيمة العلم عند الناس،
وضرورة احترام وتقدير العلماء كجزء من تعزيز قيمة العلم.

ولنتعرض بعضاً مما قام به السيد الأصفهاني في هذا
الجانب المهم من مسيرته العلمية والعملية في النقاط التالية:

أولاً: تعزيز قيمة العلم ونشره

يعتبر تعزيز قيمة العلم ونشره بين الناس من أفضل
الأعمال وأكثرها أهمية وفائدة؛ لأنه بالعلم تعمر الدنيا، وبالعلم
أيضاً تعمر الآخرة، ولذلك لم يوص الإسلام بشيء كما أوصى
بالعلم، ففي القرآن الكريم عشرات الآيات الشريفة التي تحث
على طلب العلم واكتسابه، كما أشاد بالعلم والعلماء كما في
قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢). أما ما ورد من روايات

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

وأحاديث حول فضل العلم ومكانته وأهميته وثوابه فهي من الكثرة بحيث يصعب تعدادها، ونكتفي بقول الرسول الأعظم ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(١) وقوله ﷺ: «طلب العلم أفضل من العبادة»^(٢) وقوله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالطين»^(٣) وغيرها من الأحاديث الحاثثة على طلب العلم واكتسابه.

ويبدو أهمية تعزيز قيمة العلم أكثر عندما يكون أغلب الناس أميين، والجهل منتشر بينهم، وحينما تسلم السيد أبو الحسن الأصفهاني مقاليد المرجعية العليا في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، رأى الجهل سائداً بين الناس، وأغلبهم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، ولا توجد مدارس إلا ما ندر، والحاجة ماسة جداً لتعليم الناس القراءة والكتابة، ونشر العلم بينهم، ومحاربة الجهل.

ومن أجل تحقيق تلك الأهداف الكبيرة قام السيد أبو الحسن الأصفهاني بمجموعة من الخطوات العملية لتعزيز قيمة العلم في المجتمع، ونشره على أوسع نطاق اجتماعي، وكان من أبرزها الأمور التالية:

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١، ص ٤٣٣، رقم ٥٤.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٥، ص ٢٠٦٨، رقم ١٣٧١٠.

(٣) الوسائل، الحر العاملي، ج ٢٧، ص ٢٧، رقم ٢٠.

١- تأسيس المدارس و الحوزات العلمية:

إن تأسيس أي مدرسة نظامية أو حوزة علمية أو مكتبة للمطالعة تعد من الوسائل المهمة للارتقاء بالمستوى العلمي لدى الناس، وانتشالهم من مستنقع الجهل والتخلف إلى رحاب العلم والوعي والتقدم.

وقد كان ديدن المراجع والعلماء طوال التاريخ هو نشر العلم بمختلف الوسائل والأساليب الممكنة، والارتقاء بمستوى المجتمع نحو الأفضل والأحسن، يقول السيد موسى الصدر: «إن المرحوم شرف الدين بعد أن ألف كل تلك الكتب القيمة في تعريف الشيعة وأهل البيت، التفت إلى حال الشيعة في لبنان، فرأى أنهم من أفقر الناس، ومن أجهلهم، وأحظهم شأنًا، ليس فيهم طبيب أو مهندس، وإذا وجد فبأعداد ضئيلة، بل أكثرهم من الحمالين والعمال والكناسين، فقال في نفسه: إذا كان هذه هي حالنا، فما فائدة كتبي؟ سيقول الناس لو كان التشيع حسناً ومنجياً، لكان للشيعة حال أفضل، وكان هذا سبب انصرافه إلى النشاطات العملية فعمد إلى تأسيس المدارس، ومعاهد التعليم، والجمعيات الخيرية، حتى استطاع أخيراً إيجاد نهضة وحركة مقدسة رفعت المجتمع الشيعي في لبنان إلى حال أفضل»^(١).

(١) محاضرات في الدين والاجتماع، مرتضى المطهري، الدار الإسلامية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص ٢٠٥.

وكذلك كان السيد أبو الحسن الأصفهاني قده، فعندما رأى الجهل هو السائد بين الناس، والأمية متفشية في كل مكان، عمل على بناء المساجد والحسينيات، وتأسيس المكتبات والمدارس والحوزات العلمية في كل مكان. «فقد أولى السيد الأصفهاني اهتماماً خاصاً لبناء المساجد والحسينيات والمكتبات في جميع أرجاء العالم الإسلامي من أمريكا إلى أقصى الهند، وكان يبني في كل مكان مسجداً، وحسينية، ومكتبة، ومدرسة، ويجعل له هناك وكيلاً عاماً مهما كانت الظروف صعبة»^(١)

وعندما رأى السيد الأصفهاني النقص البين في المؤسسات الإسلامية، بدأ بتأسيس المدارس الإسلامية الأهلية الحديثة كمدرسة الإمام الجواد عليه السلام في بغداد والكاظمية ومدارس منتدى النشرفي النجف الأشرف، وبعض المدارس الأخرى في البصرة وكربلاء وغيرها من المدن العراقية. كما قوى حوزة النجف ذاتها، وأكثر من بناء المدارس وإعداد الخطباء والعلماء، وأخذ يبني المساجد والحسينيات في كافة أنحاء العراق.

وقد كان السيد قده يتوخى في مؤسساته أن تكون عصرية مواكبة لروح التطور والنهضة العلمية التي تغزو العالم، وكان يحرص على أن يكون المسلمون عصريين؛ ليس في الدين

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠هـ -

ولكن في الوسائل، حتى لا يغلبهم الغربيون، ولهذا فقد أسس في تلك الأيام جملة مؤسسات في النجف الأشرف وفي غيرها كانت تجمع بين التراث والتجديد، وبين القديم والحديث، وبين الأصالة والمعاصرة.

ومن جملة نشاطاته تلك. كان تأسيس منتدى النشر والذي قامت على أساسه فيما بعد كلية الفقه الموجودة حتى الآن.

وبدعم كبير من السيد ^{ثالث} وإدارة الشيخ محمدرضا المظفر، تقدم في الرابع من شوال عام ١٣٥٣ هـ الموافق ١٠ / ١ / ١٩٣٥ م، ثلة من طلبة العلوم الدينية الشباب ومن ضمنهم الشيخ المظفر بيان إلى وزارة الداخلية يطلبون فيه تأسيس جمعية دينية بالنجف الأشرف باسم «منتدى النشر» مصحوباً بالنظام الأساسي، وبعد اللتيا والتي أجازت الوزارة فتح المنتدى.

وقد تمكن الشيخ المظفر بعد ذلك وبعد محاولات عديدة وتجارب طويلة من تأسيس (كلية الفقه) في النجف الأشرف واعترفت بها وزارة المعارف العراقية سنة ١٣٧٧ هـ.

ومنتدى النشر كانت عبارة عن مدرسة تخلط بين العلوم القديمة والحديثة، وقد احتضن جماعة كبيرة من الطلبة.^(١)

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ١٢٠ - ١٢١.

وهكذا قام السيد أبو الحسن الأصفهاني بدور مهم وحيوي في نشر العلم وتعزيزه في العراق وغيره من البلدان، وقد تخرج من تلك المدارس والحوزات العلمية الآلاف من محبي العلم والمعرفة.

٢- إرسال المبلغين والمرشدين:

كانت الساحة الإسلامية في العراق تعاني من قلة الكوادر، وانتشار الجهل بين الناس، إذ لم يكن العلماء يسدون حاجة المدن الثلاث المقدسة التي كانوا فيها، وكانت معظم المدن والقرى والأرياف الشيعية الأخرى تشكو من غياب العلماء وافتقارهم، ولم يكونوا يعرفون ألف باء الإسلام، أو الأحكام الأولية منه، ماعدا بعض القصص التاريخية المتعلقة بطولة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والإمام الحسين الشهيد عليه السلام فحسب.

وقد سبب هذا الفراغ الديني وقلة العلماء إلى أن تفقد الجماهير الشيعية صلتها الوثيقة بالمرجع وتوثق علاقتها في المقابل «برئيس العشيرة» أو شيخ القبيلة، وبالتالي تخضع لعلاقاته واتجاهاته السياسية.

وقد أدرك السيد أبو الحسن الأصفهاني هذه الحقيقة المؤلمة، ولما عاد من إيران توصل إلى قناعة ثابتة بعمالة

النظام، وبضعف القاعدة الدينية فاجتنب الخوض في الألاعب السياسية اليومية، وراح يعمل بجد وقوة على إرسال العلماء والمشايخ إلى القرى والأرياف وخصوصاً إلى القرى النائية يعرفها الإسلام.^(١)

ولما ظهر أن في كركوك ونواحيها عدد كثير يبلغ الألوف من المنتمين إلى ولاء أهل البيت وذلك بعد تقلص حكم العثمانيين عن تلك الديار، وقد استولى عليهم الجهل وانتشر فيهم التصوف غير المحمود والغلو، وجعلوا أحكام الدين الإسلامي وأعماله، أرسل إليهم الدعاة والمرشدين، وعين لهم المشاهرات الوافية فكان يصل إلى بعضهم خمسمائة روبية في الشهر عدا ما يرسل إليه من الخلع والعباءات الفاخرة ليهدوها إلى الرؤساء استمالة لهم. وألف لهم رسالة في أحكام العبادات بالتركية الشائعة بينهم وطبعها ووزعها عليهم. وبنى لهم المساجد والحسينيات.^(٢)

وبذلك استطاع السيد أبو الحسن الأصفهاني قَدَسَ سِرُّهُ أن يقوم بدور مهم في نشر العلم، وتعريف الناس بالدين وأحكامه، ومحاربة الجهل والتخلف، فقد كان الخطباء والمرشدون والمبلغون، من أهم الوسائل في ذلك العصر - ولا يزال - في

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٧٣-٧٤.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٣٦٠.

نشر أحكام الإسلام ومفاهيمه وقيمه بين الناس، ومحاربة الأمية والجهل الذي هو أصل التخلف والتقهقر الحضاري.

٣- نشر الوكلاء في كل البلدان:

يعتبر جهاز الوكلاء من أهم المؤسسات التي تقوم عليها مؤسسة المرجعية الدينية، فلكل مرجع من المراجع الكبار آلاف الوكلاء المنتشرون في كل أنحاء العالم. ولكن قد تختلف إدارة الوكلاء من مرجع إلى آخر، وعندما يكون المرجع يتمتع بقدرة إدارية -بالإضافة إلى علميته- يستطيع أن ينجز الكثير من الأعمال، ويحقق الكثير من الأهداف الكبيرة.

وقد كان يتمتع السيد أبو الحسن الأصفهاني بمؤهلات قيادية وإدارية، وهو ما انعكس على جهاز الوكلاء لديه.

وقد أشار لهذه الحقيقة معاصره السيد محسن الأمين قده، إذ عندما سُئل عن سبب اختياره للسيد أبي الحسن مع العلم بوجود علماء آخرين وكبار. فقال: في الحقيقة إنني رأيتهم جميعاً علماء عدولاً، لكن رأيت في السيد أبي الحسن شيئاً آخر وهو حُسن الإدارة مما دفعني إلى اعتباره لائقاً لإدارة شؤون المسلمين.^(١)

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ

ولأن الوكيل يمثل المرجع في كل شيء، لذلك تتأكد ضرورة الاختيار الجيد والمناسب لهؤلاء الوكلاء وفق معايير دقيقة ومناسبة، ودون ترك الأمر بصورة عفوية أو جعل الاختيار عشوائياً. وهذا ما كان يحرص عليه السيد أبو الحسن عليه السلام فقد كان يحسن اختيار وكلائه ولا يتسرع بل يتورع في تعيين من يعين للناس، ولا يقوم بعملية الاختيار إلا بعد أن يختبر الشخص المرشح للوكالة، وقيس فيه دينه وعلمه وهداه وتقواه وعقله وغير ذلك مما يناسب البلد الذي يراد أن يرسل إليه. وقلما كان السيد عليه السلام يرجع عن وكيل. وذلك آية في جودة اختياره في أول الأمر وحسن معرفته للناس وللبلاذ وللأمور.

وقد وصل عدد وكلاء السيد عليه السلام الذي يعتمد عليهم من غير تلاميذه إلى زهاء أربعة آلاف وكيل في شتى أصقاع الأرض. وهذا يكشف قوة السيد وانتشاره الواسع وقدرته على إيصال صوته وإرشاداته إلى أماكن كثيرة من الوطن الإسلامي.^(١)

فقوة أي مرجع من ناحية الانتشار، وامتلاك مفاتيح الأمور، تعتمد على قوة وكلائه، ونفوذ شخصياتهم في مجتمعاتهم، وسماع كلمتهم لدى الناس.

والوكلاء يقومون بمهام عديدة، منها: استلام الحقوق

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ١٢٩-١٣٠.

الشرعية، وبناء المؤسسات المختلفة، وتعليم الناس عبر إقامة الدروس الدينية في المساجد والحسينيات والمنازل و... وغيرها، وهذا الدور من أهم الأدوار التي ينبغي للوكلاء القيام بها.

وقد كان السيد أبو الحسن الأصفهاني يحث وكلاءه على تعليم الناس مفاهيم الإسلام وأحكامه، ونشر العلم بينهم، والقضاء على الجهل والامية.

٤- الإجابة على تساؤلات الناس:

من الأمور المتبعة لمعرفة الأحكام الشرعية، وفهم معاني ومفاهيم الإسلام، هو الاستفتاء والاستفسار والتساؤل من المرجع كي يجيب على ما لدى الناس من تساؤلات في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية.

ويعمد الكثير من مراجعنا العظام إلى تشكيل لجنة للإجابة على تساؤلات الناس؛ إلا أن ما ينقل عن أحوال السيد أبو الحسن الأصفهاني أنه كان يرفض أن يجيب أحد عنه، وكان بنفسه يجيب على تساؤلات الناس الكثيرة.

و «فضلاً عن قيامه بالتدريس والبحث اليومي وحضوره صلاة الجماعة في أوقاتها وفسح في المجال لزيارته ومقابلته في مختلف الأوقات فإنه مكلف بقراءة البريد في كل

يوم والإجابة على الفتاوى والرسائل بقلمه دون أن يساعده أحد في ذلك، وكم ستكون دهشة القارئ عظيمة إذا علم بأن نصف ما يستورد بريد النجف - والرسائل الآخرون إن لم يكن أكثر - من الرسائل اليومية إنما هو معنون باسمه، ونصف ما يستصدر البريد ورساله الخاصة، إنما يستصدره من مكتبه بقلمه، والرد على أغلب هذه الرسائل لا يخلو من تعب وكلفة ومشقة. فالكثير من هذه الرسائل يتضمن فتاوى ليس من السهل الإجابة عليها قبل تأمل طويل لعدم حصول نظائرها من قبل أو تداخل مشاكلها بعضها في بعض»^(١).

وللأسف الشديد، فقد كان يصل إلى السيد الكثير من الرسائل، التي تكيل له السباب والشتائم محاولة لتشيطه أو إسقاطه نفسياً، وهنا كان يبرز في السيد عليه السلام خلق الأنبياء، فكان يقابل هذه الإساءة بالحسنة، فمما ينقل عنه عليه السلام أنه كان يقرأ الرسائل التي تصله جميعاً بنفسه لا بواسطة أحد إطلاقاً، وكان يضع أمامه في الغرفة وهو يقرأ الرسائل، إناء كبيراً مليئاً بالماء، فإذا رأى في الرسالة الشتم والسب والإهانة أخذها ووضعها في إناء الماء ليمحو آثارها وحتى لا يطلع عليها أحد، وأحياناً كان يجمع هذه الرسائل وفي طريق ذهابه إلى الكوفة كان يرميها في

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٣٦١ (بالهامش).

نهر الفرات أو «نهر الكوفة» وهو يريد أن يدفن سر الناس وأن ينهي المشكلة بالتي هي أحسن!!^(١)

فالسيد أبو الحسن الأصفهاني كان همه نشر العلم، وتعليم الناس أحكام الدين ومفاهيمه، ودفن الجهل بمختلف أشكاله، بما فيه رسائل السباب والشتائم التي كانت ترسل إليه، فهذه الرسائل تعبر عن جهل مركب، وما يهم المراجع والعلماء الكبار هو نشر العلم، ومحاربة الجهل مهما كان شكله ونوعه.

٥- دفع الأموال من أجل نشر العلم:

نشر العلم وتعزيز قيمته، و الارتقاء العلمي بالمجتمع كان الشغل الشاغل للمرجع الأعلى في زمانه، السيد أبو الحسن الأصفهاني، وكان لتحقيق ذلك يدفع الأموال الكبيرة، من أجل المساهمة في تحقيق النهوض العلمي.

وقد «كان السيدة تترش يزود بعض المجلات والمطابع في النجف الأشرف بالمال حتى تنمو النجف علمياً، بالإضافة إلى نموها حسب الحضارة الحديثة».^(٢)

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ١٢٠.

وينقل عن السيد الأصفهاني أنه قام بإرسال ممثل عنه لغرض التبليغ في إحدى قرى شمال العراق، وعندما وصل هذا المندوب إلى تلك القرية، اعترضه رئيس القبيلة ومنعه من أداء وظيفته، مما اضطر المبلغ إلى الذهاب إلى مركز الشرطة القريب من تلك القرية، لحل هذه المشكلة.

فقال له مدير المركز: إن الحل الوحيد لهذه المشكلة هو أن تعود إلى النجف الأشرف وتبلغ آية الله الأصفهاني أن يتصل بوزير الداخلية، لكي يعطينا الوزير بدوره الأوامر للوقوف بوجه رئيس القبيلة، فعاد ممثل السيد أبي الحسن إلى النجف الأشرف وأبلغه بما جرى.

فقال له السيد، لا بأس سأكتب رسالة إلى رئيس القبيلة مع مبلغ خمسمائة دينار.

فأخذ ممثل السيد الرسالة مع المبلغ وذهب بها إلى شيخ العشيرة، فلما استلمها وفتحها ووجد فيها المبلغ المذكور دخل السرور والفرح على قلبه وصافح حامل الرسالة ورحب به أشد الترحيب، وأشار لأفراده بحضور مجلسه والصلاة خلفه.

ومنذ هذه الحادثة أصبحت هذه العشيرة ورئيسها من أنصار السيد ومحبيه، ثم بعد ذلك عاد المندوب إلى النجف الأشرف ونقل للسيد النتائج الإيجابية التي ترتبت على أثر

الرسالة. فقال السيد أبو الحسن: هذه الطريقة أفضل من أن نتصل بوزير الداخلية لحل المشكلة، ولعل اتصالنا به يخلق لنا مشاكل نحن في غنى عنها^(١).

وهدف السيد الأصفهاني بالطبع لم يكن استمالة هؤلاء الناس فقط، وإنما السماح لمبليغيه أن يقوموا بدور التبليغ ونشر العلم بين الناس وإن تطلب ذلك دفع الأموال، إذ أن الأموال يجب أن توظف في نشر العلم والفضيلة والخير. ولهذا الهدف أيضاً كان السيد الأصفهاني يرسل العباءات الفاخرة لوكلائه كي يهدوها إلى الرؤساء استمالة لهم، بما يسمح بممارسة أدوارهم وأعمالهم بكل حرية وترحاب.

(١) موقع صحيفة الوفاق الإيرانية، www.al-vefagh.com، السنة التاسعة - العدد ٢٣١٤، الأربعاء ٢ شعبان ١٤٢٦ هـ - ٧/٩/٢٠٠٥ م.

ثانياً: تقدير العلماء والاحتفاء بهم

إن تكريم العلماء واحترامهم، والاحتفاء
بجهودهم، إنما هو تكريم للعلم نفسه
وتعزيز لقيمته ودوره في المجتمع،
وإذا كان من الطبيعي لأي مرجع القيام
بهذا الدور، إلا أن هذا الدور يكون
أكثر من مهم إذا كان العلماء يواجهون
صعوبات ومشاكل من قبل قوة مسيطرة
على مقاليد الأمور.

ففي عهد السيد أبو الحسن الأصفهاني كان العراق محتلاً
من قبل الاستعمار البريطاني، وقد سعى بكل مكر وخداع أن
يضعف الدور التاريخي للعلماء، ويقلل من ثقة الناس بهم،
ويعمل على إبعادهم عن الارتباط العاطفي والوحداني بالعلماء.
من هنا، فإن السيد أبو الحسن الأصفهاني (رضوان الله عليه) قد

عمل كل ما بوسعه من أجل استعادة ثقة الناس بالعلماء، والعمل على تعزيز مكانتهم بين الجماهير، وقد قام السيد أبو الحسن الأصفهاني بمجموعة من الخطوات الإيجابية والمؤثرة في هذا المجال... نذكر أهمها في النقاط التالية:

١- تربية العلماء:

حاول أعداء الدين في كل من إيران والعراق وأفغانستان وتركيا وغيرها من بلاد المسلمين صناعة علماء وشخصيات مرتبطة مباشرة بالاستعمار وأذنبه، وكان العلماء الربانيون يتعرضون لأعنف معاملة، ومضايقات في كل شيء كي يتخلوا عن زيهم الديني.

فبعد أن وصل رضا خان إلى الحكم في إيران أصدر في سنة ١٩٢٩م قانون اللباس الموحد الشكل بحيث فرض على الرجال ارتداء القبعة على الرأس والسروال (البنطلون) والسترة (الجاكيت) على الطراز الأوروبي، كما وحد زي رجال الدين، ومنعهم من ارتدائه إلا بإذن خاص.

وخلال خمس عشرة سنة من حكمه اضطر مئة ألف من رجال الدين إلى ترك الزي الديني، وعامل رجال الدين بقسوة بالغة.

وينقل أحد العلماء مثلاً لتقليص عدد العلماء في إيران،

فيقول إنني ذهبت إلى إيران في زمن رضا خان لزيارة الإمام الرضا عليه السلام فذهبت إلى مشهد وفي كل طريقي ذهاباً وإياباً لم أزل إلا معممين فقط أحدهما رأيت في طهران والآخر في خراسان!!^(١)

والهجمة على العلماء، كان موجوداً كذلك في أفغانستان وتركيا، وإلى حد أقل في العراق. وأمام كل ذلك، كان السيد واعياً لمؤامرات الاستعمار، ولما كان يمثل المرجعية العليا لذلك فقد كانت المسؤولية العظمى لردع هذه المؤامرات تقع على عاتقه. من هنا فقد أخذ السيد بمحاربة كل من هؤلاء حرباً ثقافية، أي أنه قاد «ثورة ثقافية» في البلاد الإسلامية التي كان له فيها نفوذ. وقد تركزت منجزات السيد في العراق وإيران وأفغانستان، أما في تركيا حيث لم تكن هناك يد للمرجعية فإنه لم يوفق لعمل شيء، لذلك فتركيا ظلت حتى اليوم تعيش غربة حقيقية عن الإسلام. ولا زال اعتمار العمائم ممنوعاً. فالحال لم يتغير عما كان عليه في عهد أتاتورك.

من هنا، أخذ السيد أبو الحسن يركز جهوده على تربية العلماء والخطباء والمبلغين والمرشدين والمدرسين والمؤلفين ويجمع كلمتهم. وبينما كانت العمائم محرمة في إيران وأفغانستان

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٨١ - ٨٢.

وتركيا ونوعاً ما في العراق أيضاً، أكثر السيد من نشر اعمارها وكان كالأب الرؤوف بالنسبة لطلبة العلوم الدينية، يريهم ويدير أمورهم، ويوجههم، ويرشدهم، ويحترمهم، ويوجب احترام الناس لهم. (١)

ومن هنا، ندرك عظمة الدور القيادي الذي قام به السيد الأصفهاني في تربية العلماء والخطباء، وتكثير أعدادهم، والعمل على دعمهم، ليقوا الحصن الحصين للدفاع عن الإسلام ومقدساته، وأحكامه وفلسفته الشاملة للحياة.

٢- إعادة الهبة للعلماء:

عمل الاستعمار البريطاني، وكذلك أتباعه على التقليل من مكانة وهيبة العلماء، بهدف سلب أي تأثير لهم على الناس، ومن ثم يستطيعون السيطرة على العراق وإيران وغيرها من بلاد المسلمين.

وقد أدرك السيد الأصفهاني ذلك فعمل بكل جد واجتهاد من أجل إرجاع مكانة العلماء إلى وضعها الطبيعي، وإضفاء الهبة عليهم كي يتمكنوا من التأثير المعنوي على الناس.

وقد تمكن -السيد الأصفهاني- من إزالة النظرة السلبية

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ.

التي علقت بأذهان الناس تجاه رجال الدين والعلماء، وكان من أساليبه تَدْبِيرُهُ في ذلك: إنه كان يعطي المال لأساتيد الحوزة في النجف الأشرف ويوصيهم بالألا يقولوا بأن المال منه، وإنما يوحون للناس بأنهم هم الذين يأخذون الأموال من الحقوق الشرعية ويوزعون هذه الأموال على تلاميذهم كما هي العادة الجارية في الحوزات العلمية. وكان السيد بذلك يريد أن يوحى للناس بأن العلماء أقوياء ومقتدرون، فكان من يأتي من البلاد الإسلامية إلى النجف الأشرف فيرى هناك حوزة ضخمة ورجال دين يدرسون جماعات من الطلبة (٥٠٠ أو ١٠٠٠ طالب أو أقل أو أكثر)، ويقتنع بأن دور رجال الدين لم ينته كما يحاول المستعمر الإيحاء بذلك.

وفي إيران وعندما طرد رضا خان من الحكم، أرسل السيد أبو الحسن الأصفهاني جماعة من رجال الدين وأعطى كل واحد منهم كمية من المال وقال لهم: إن شأنكم فقط هو أن تمشوا في شوارع طهران جيئةً وذهاباً من الصباح إلى المساء. وليس أكثر من هذا حتى يطمئن الناس أن الدين قد رجع إلى البلاد، وهكذا وبعد فترة وجيزة تمكن تَدْبِيرُهُ بحنكته وذكائه من أن يعيد هيبة وسمعة العلماء في إيران^(١)

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ

بيد أن العلماء عندما يفقدون هيبتهم ومكانتهم بين الناس يفقدون أي قدرة على التأثير عليهم، أو توجيههم، وهو الأمر الذي سيؤدي إلى الانسلاخ من القيم والمبادئ الدينية، وهو الأمر الذي يسعى عليه في كل وقت أعداء الدين، فيعملون على محاربة العلماء، وإسقاط هيبتهم ومكانتهم بكل الأساليب والحيل والألاعيب الماكرة.

٣- احترام العلماء:

من الخطوات و الأمور التي كان يتبعها السيد أبو الحسن الأصفهاني لتعزيز مكانة العلماء في المجتمع، هو احترامه وتقديره لكل العلماء وطلبة العلم، لأن ذلك يعني تعزيز قيمة العلم، ورفع شأن العلماء مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١).

والقصص التي تؤكد احترام السيد الأصفهاني لطلبة العلم فضلاً عن العلماء كثيرة، نذكر منها بعض القصص: إذ ينقل أحد تجار أصفهان ولقبه (كوفائي) كان وكيلاً عاماً للسيد في أصفهان وكان يقول: ذات مرة أخذت عباءة من أجمل العباءات الشتوية من وبر الإبل، وفي ذلك اليوم كانت العباءة العادية بقيمة (٧) توأمين. وهذه العباءة كانت تثمن بـ (١٠٠) تومان. أي أكثر من

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(١٣) ضعفاً وذهبت بها إلى النجف الأشرف وقدمتها للسيد في مجلسه فأخذها السيد وشكرني. وجعل العبادة أمامه. في هذه الأثناء دخل أحد الطلبة وعباءته ممزقة فنظر إليّ السيد وقال: هل هذه العبادة لي. قلت: نعم يا سيدنا. قال: لا بأس ففتحها ولبسها في لحظات ثم نظر إلى ذلك الطالب وقال له ما حاجتك؟ قال: إن عباءتي ممزقة وأخجل أن أمشي بها في الشارع. فبادر السيد إلى عباءته التي أهديت له حالاً.. وقال للطالب أعطني عباءتك فأخذها ووضع العبادة الفاخرة على كتف ذلك الطالب! ويضيف التاجر: قلت للسيد يا سيدنا هذا الطالب لا يحتاج إلى عباءة مثل هذه. وهذه العبادة هي لك. فقال السيد: لا يخصك ذلك فأنت وهبت العبادة لي وأنا حر في التصرف بها. وقد لبستها حتى أصبحت ملكي.

وهكذا كان السيد يضحى بالغالي والنفيس من أجل راحة وسعادة الطلبة، الذين كان يعتبرهم أبناء المدللين.

ومما ينقل عن أخلاق السيد أبو الحسن عليه السلام، أنه كان يولي احتراماً خاصاً لعلماء الدين، ومن قصصه في ذلك ما ينقله أحد علماء النجف الأشرف وهو آية الله السيد هادي الشيرازي (من أحفاد المجدد الشيرازي) قال: ذات مرة ذهبت إلى أحد وكلاء السيد أريد منه المال حسب تحويل السيد إليه فأساء إلي ذلك الوكيل. فغضبت كثيراً. وكان الوقت بعد الظهر فذهبت

إلى السيد وقلت له: تحولني إلى شخص لا يقدرني ويهينني ولا يحترمني. ونقلت له القصة كاملة. فقال السيد: لا بأس. ماذا تريد الآن؟ هل تريد أن تأتي إليّ كل شهر وتأخذ مني المال مباشرة. أو تريد أن أحولك إلى وكيل آخر؟ وبذلك يكون السيد قد منع إهانة هذا العالم.^(١)

وللسيد أيضاً قصة رائعة أخرى تبين حرصه على الدفاع عن حقوق الطلبة والوقوف معهم في الشدائد. فينقل أنه في إحدى المرات أخبر السيد بأن أحد الطلبة في النجف الأشرف سجن بشأن من الشؤون. وكان الوقت عند الظهر. وعندما قدموا للسيد غداءه في ذلك اليوم قال: لا أتغذى... فسأله عن السبب. قال: لأن هذا الطالب مسجون، ومن غير الصحيح أن أكل وهناك طالب علوم دينية مسجون، فأصروا عليه.. وقالوا له: إن الوقت ظهيرة الآن والدوائر مغلقة، ولا يمكن الآن أن نعمل شيئاً. وهذا قانون وإلخ.. ولكن السيد أصر على موقفه حتى يؤتي بالطالب ويأكل معه.

وبعد ذلك تدخل ابن السيد وهو السيد حسين فاتصل بقائم مقامية النجف، فاتصلوا بالمتصرفية في كربلاء. وتمكنوا بعد مشقة من إخراج ذلك الطالب من السجن. وجاء إلى بيت

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ

السيد أبو الحسن وتغذى معه عصراً. لأن الساعات طالت حتى تمكنوا من حل القضية.

وهذا موقف آخر من السيد أبي الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يريد به أن يبرز تقدير واحترام الطلبة، وقد كان يريد أن يؤكد ليس فقط على الناس بل على الحكومة أيضاً بأن تحترم الطلبة ولا تتعرض لهم بسوء. وهو موقف يكشف أيضاً عن قوة شخصية السيد والرهبة منه. (١)

ويذكر السيد محسن الأمين في أعيانه كيف احترامه السيد الأصفهانى وقدره، واحتفى به أيما احتفاء، عندما قام الأمين بزيارة العتبات المقدسة في العراق وإيران عام ١٣٥٢ هـ - ١٣٥٣ هـ، يقول السيد الأمين: فقد أوفد وفداً من قبله لاستقبالنا في كربلاء وآخر لاستقبالنا في خان الحما، وخرج لملاقاتنا في جمع غفير من العلماء والفضلاء والوجهاء وغيرهم حين دخولنا النجف، وأنزلنا في داره ليلة وصولنا للنجف ثم كرر الزيارة لنا بعد وصولنا للنجف في أغلب الأيام، كما كرر الزيارة لنا بمنزلنا بالكوفة.

ولما عزمنا على التوجه لزيارة الرضا عَلَيْهِ السَّلَام حضر إلى منزلنا وطلب إخلاء المجلس ثم قال: أتريد السفر إلى إيران؟

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ

قلت: نعم. فقال: يلزم أن تستعد للباس يقي البرد لأن إيران باردة وكثيرة الثلج وكان ذلك في أوائل نيسان. ثم قال: وأين تريد أن تنزل في طهران؟

قلت: أنا رجل درويش لا أبالي أين أنزل.

قال: هذا لا يمكن إن إيران ليست جبل عامل فلا بد من نزولك في منزل معروف. قلت: إن رجلاً ممن ينتسب إلى العلم من أهل طهران كان في النجف وعرض عليّ النزول في داره وأجبتّه.

قال: هذا لا يصلح أن تنزل في داره.

قلت: قد وعدته بذلك ويصعب عليّ خلف الوعد.

قال: المحافظة على مكانة العلم أهم من خلف الوعد؛ فاختر غيره من أهل المكانة في العلم لأكتب له بذلك.

قلت: أنا لا أعرف أحداً هناك وإنما أسمع بالشيخ إسحاق الرشتي والسيد محمد البهبهاني.

قال: اختر أحدهما لأكتب له فاخترنا الرشتي

ثم قال إذا لزمك أمر في كرمانشاه فراجع فلاناً وإذا لزمك أمر في طهران فراجع فلاناً وإذا لزمك أمر في خراسان فراجع فلاناً. ثم طلب دفترأ فكتب أسماءهم فيه بخط يده فشكرته على

ذلك وانصرف. ولكنني لم احتج والحمد لله إلى مراجعة أحد من هؤلاء إلا الخراساني فراجعته في بعض الأمور.

وبعد سفرنا إلى إيران كان يستخبر عن أحوالنا في كل بلدة نصلها وعن جزئيات أمورنا وكلياتها في جميع مدن إيران وبلدانها وتأتيه أخبارنا في كل يوم وكل مكان. ولما رجعنا من إيران إلى العراق بعد ما أقمنا في إيران نحو خمسة أشهر ونصف شهر التقينا به في كربلاء فأول ما رأيناه قال أتريد أن نكلمك بالفارسي أو بالعربي؟

قلت: بما شئت.

فقال: لا تذكر لي شيئاً مما جرى لك في إيران، كله عندي علمه، وأخبارك كانت تأتيني يوماً فيوم وساعة فساعة.^(١)

هذه القصص وغيرها إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى حرص السيد الأصفهاني على استعادة مكانة العلماء، وتعزيز قيمة العلم، ورفع شأن طلبة العلوم الدينية، بما يقوي من مكانتهم الاجتماعية، وينمي من نفوذهم عند الناس، وهو الأمر الذي يخدم الإسلام ومفاهيمه وقيمه ومثله العليا.

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٣٦١ - ٣٦٢.

٤- المحافظة على سمعة الوكلاء:

يقوم الوكلاء بدور مهم في إدارة شؤون المرجعية في أماكن تواجدهم، فهم كالسفراء يمثلون المرجع الذي وكلهم، وهم يزدادون مكانة بين الناس كلما كانت الوكالة التي بأيديهم من قبل المرجع الأعلى في زمانه، و الوكلاء وإن كانوا يجب أن يتحلوا بالتقوى والورع والزهد وخدمة الدين ومساعدة المؤمنين إلا أنهم ليسوا معصومين، وقد تصدر من بعضهم أخطاء لا ينبغي أن تصدر من مثلهم.

لكن الحل في نظر السيد أبي الحسن الأصفهاني لمعالجة الأخطاء ليس بسحب الوكالة منهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى إسقاطهم اجتماعياً، و اغتيالهم معنوياً، وإنما الحل بمعالجة الأخطاء بالحكمة، والحنكة، وهذا ما تحلى به السيد الأصفهاني في تعامله مع أخطاء وكلائه.

إذ ينقل عن السيد حسن الظاهري هذه القصة، إذ قال: كان السيد إذا أعطى وكالة شرعية لأحد الأشخاص، وتبين بعد فترة من الزمن بأن ذلك الشخص غير جدير بتلك الوكالة، لم يسحب منه تلك الوكالة، وكان كثير من المقربين يقولون له: اسحب منه تلك الوكالة فيرد عليهم السيد قائلاً: قبل ان أمنحه وكالتي، كان هذا الشخص يمتلك منزلة لدى الناس، وعندما منحته الوكالة

ازدادت منزلته لديهم، ولكن عندما أبطل وكالته يكون قد فقد كل تلك المنزلة تماماً، وليس لدي الاستعداد لأن أساهم في إراقة ماء وجه أحد، وفقدانه لا اعتبره بين أوساط الناس.^(١)

وقد ضرب السيد أبو الحسن الأصفهاني قده في ذلك مثلاً في حل مشكلة وقعت لوكيل له في مدينة «الرميثة» جنوب بغداد.

فقد تناهى إلى سمع السيد بأن هناك خلافاً حاصلًا حول هذا الشيخ (وكيل السيد). فما كان من السيد قده إلا واغتنم إحدى الفرص عن طريق أحد الشيوخ الذين يعرفهم فطلبه وقال له: أريد أن تدعو جميع شيوخ القبائل في الرميثة لمقابلتي. فطلبهم الشيخ وجاءوا إلى النجف الأشرف وذهبوا لزيارة السيد أبو الحسن وعند الاجتماع بهم سألهم السيد عن رأيهم بوكيله في الرميثة. فأبدى الجميع رضاهم بالوكيل واستحسنوه جميعاً، إلا ذلك الشيخ (صديق السيد) لم يتكلم بشيء، وعندما انتهى اللقاء أخذ الجميع بالسلام على السيد وتقبيل يده. وعندما سلم الشيخ على السيد قال له: أريد أن أراك لوحدك. فقال حسناً. وعندما تفرقوا رجع هذا الشيخ للسيد وكان ينتظره، فقال له السيد: لماذا لم تقل شيئاً عندما قالوا رأيهم بالوكيل. فقال الشيخ: إن رأيي كان غير ذلك، ولكنني لم أكن أريد أن أخالف الجميع فسكت.

(١) موقع صحيفة الوفاق الإيرانية، www.al-vefagh.com، السنة التاسعة -

فقال له السيد: ما هو رأيك؟ قال: أنا أقول إنه مادام قد اختلف على الوكيل فهو أصبح غير صالح، لأن ذلك يؤدي إلى إثارة بعض المسائل عليكم. فقال له السيد: أحسنت.

وبعد مرور أيام أو أشهر جاء الوكيل لزيارة النجف الأشرف والتقى بالسيد. فقال له السيد دون أن يعلمه بأي شيء: إننا محتاجون لك هنا لكي تدرس، ولا حاجة لرجوعك للرميثة. ثم أرسل وكيلاً آخر أكثر قدرة على الإدارة والتصرف ليكون بديلاً عن الوكيل السابق.^(١)

وفي قصة مشابهة - وربما هي نفس القصة بتعابير أخرى - إن أحد وكلاء السيد أبي الحسن (رضوان الله عليه) في إحدى مناطق العراق كان وكيلاً ولكن كانوا يتكلمون أنه لا يناسب مثل هذا الشخص أن يكون وكيلاً أو مندوباً عن السيد أبي الحسن مدة مديدة بهذا الكلام لأنه ليس موقراً في مشيه وجلسته وبعض تصرفاته. فطلبه السيد إلى مجلس وحضر مجلس السيد ذات الوكيل وكان بالمناسبة حين وروده على السيد في مجلس تعزية، أكمل التعزية وذهب الخطيب والناس، وكان ذاك الوكيل في صدر المجلس وسماحة السيد عند باب المجلس وبينهما حوالي عدة أمتار، فناداه سماحته وأراد أن ينظر إليه كيف يمشي وكيف له

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ

تصرفات غير حسنة، وهل كلام الناس عليه حق أم لا؟

فراه قام بنوع خاص وأخذ يتخطى الأرض بنوع خاص غير المعلوم لأهل العلم من الوقار والجلال والهيبة. وأخيراً ما قال له شيئاً سوى أنه صافحه وعانقه وأكرمه بنقود في ظرف وقال له بكل لين: نحن نحب بقاءك عندنا في النجف الأشرف حتى يدرس عندك جماعة ويستفيدوا من محضرك الدرس، والذي يأتي في مكانك غيرك وأنت بعد ذلك عندنا إن شاء الله.^(١)

وبهذا حل السيد الأصفهاني مشكلة هذا الوكيل بدون أي إهانة له، وبدون أن يعرف السبب الحقيقي لنقله للنجف الأشرف، ويرسل وكيلاً آخر عنه، وكان بإمكانه أن يسحب منه الوكالة وينتهي الأمر، إلا أنه كان سيسقط ذلك العالم من أعين الناس، وسيؤثر على مكانة العلماء وثقة الناس فيهم، من هنا تدارك السيد أبو الحسن أي تداعبات سلبية، وحل المشكلة بحكمة وحنكة قلّ نظيرها.

٥- إعطاء رواتب شهرية للعلماء والطلبة:

من الأمور التي تساعد العلماء وطلبة العلوم الدينية على العطاء والإنتاج، والقيام بالمسؤوليات الملقاة على عواتقهم هو

(١) أذكيا الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص ٣٧.

توفير ما يحتاجون من متطلبات الحياة المختلفة، وإعطاء رواتب شهرية، وتوفير مساكن للعلماء، وتلبية كل حوائجهم، وقد كان ذلك من الأعمال الجليلة التي قام بها السيد الأصفهاني في سبيل توفير أمر المعاش لهم، ورفع شأنهم، والاستغناء عما في أيدي الناس.

يقول السيد محسن الأمين في أعيانه: «ومن جليل أعماله جراية الخبز على الطلبة بالنجف وما يعولون والنفقات المالية، وإرساله المرشدين من أهل العلم إلى الأقطار في إيران والعراق حتى البلاد التي يكون فيها عدد قليل من الشيعة وقيامه بنفقاتهم، وإيصاؤهم أن لا يقبلوا من أحد شيئاً وتفقدته أهل البيوتات والمستورين وبره بهم وعنايته بتطبيب المرضى منهم وإرسالهم إلى البلدان التي فيها حذاق الأطباء، وقيامه بنفقاتهم»^(١).

وكان يصرف على طلبة العلوم الدينية مبالغ ضخمة، إذ جبيت إليه الأموال من أقاصي البلاد وأدانيها، ولم يبلغ أحد في عصره ما بلغه من ذلك حتى بلغت نفقاته في كل شهر من عشرين ألف إلى ثلاثين ألف دينار عراقي فينفقها على طلاب العلم والفقراء^(٢).

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٣٦٠.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٣٦٠.

وكان السيد الأصفهاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالإضافة إلى إعطائهم الرواتب، يجري لهم الخبز بما يكفيهم ليومهم، وهو عمل لم يتم به أي مرجع قبله أو بعده. وكان يحرص أشد الحرص على أن يوفر للطلبة كل احتياجاتهم، وأن يوجد الوحدة والتآلف بينهم، وأن يرفع كلمتهم؛ لأن رفع كلمتهم يعني رفع هيبة العلماء ومكانتهم في قلوب الناس.

وهناك قصة ينقلها الشيخ محمد علي المعروف (بالمعلم الأفغاني) حيث يقول: إنه جاء في إحدى المرات بخمسة آلاف دينار من الأخماس الشرعية من الأفغان. فقدمها للسيد. فقال السيد: هل لك منزل؟

قال: لا.

قال: وهل تكفي هذه الأموال لبناء منزل؟

قال: نعم.

قال: إذن خذها وابن لك منزلاً. فاستغرب الشيخ.

فقال السيد: هل هذه الأموال تكفي لكل رواتب الطلبة؟

قال: لا.

قال: نصف؟

قال: لا.

قال: ربع؟

قال لا.

قال: إذا سيعوضني الله بغيرها.

وقد جرت عادة السيد أن يعطي لكل طالب علوم دينية عنده أسرة وغير متمكن مسكناً يؤويه. وهذه كانت من أعماله الجليلة.

وكان السيد يجري من الخبز لكل طالب علوم دينية ما يكفيه هو وعائلته كل يوم، بحيث يعطي كل شخص (أوقية) من الخبز يومياً. أي أربعة أرغفة خبز. فإذا كانت العائلة من ثلاثة تعطى لهم ثلاث أوقيات أي اثنا عشر خبز يومياً. وكان للسيد وكيل قائم على توزيع هذا الخبز.

وكان السيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يعطي أموالاً كثيرة للطلبة حتى أنه كان يقترض من أجل قضاء حوائج الطلبة والمحتاجين.^(١)

إن سماحته - أي السيد الأصفهاني - كان يرسل الشهرية إلى كل الطلبة ولا يدع أحداً من الموالفين والمخالفين له، وكان هناك شيخ لا يعرف السيد ولا حقيقته وكان يبغضه ويحسده وكان ممن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله، ولكن السيد بالعكس كان

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠هـ

على أخلاقه الرفيعة يرسل إليه في كل شهر الشهرية، ولم يبال أو يهتم ما يقول عليه وما يبديه من الحقد. فالذي كان يأخذ الشهرية إلى هذا الشخص كان يقول يا مولاي هذا رجل حقود وحسود وأنت تكرمه. فالسيد كان يقول: لا تهتم به فكل يعمل عمله. ودام هذا القول مع السيد لمدة سنة أو أكثر إلى أن سأل السيد من الواسطة قال: كيف صاحبنا وما يقول؟ قال يا مولاي قال لي في هذه المرة، كيف سماحة السيد؟ وبعد شهر قال له السيد: ما قال لك؟ قال الواسطة: قال لي في هذه المرة بلغ سلامي إلى سماحة السيد. وفي المرة الثالثة سأل السيد الواسطة قال ماذا قال؟ أجابه أنه قال: بلغ سلامي وتحياتي إلى سماحة السيد وأريد أن أصل بخدمته، فقال سماحته: الحمد لله على هدايته.

ثم سأل الواسطة سماحته عن سبب إرسال السيد بيده المبلغ كل شهر لهذا الإنسان العدو لماذا؟ فقال السيد أبو الحسن رضوان الله عليه: اعلم يا فلان أنه مشتبه ومذنب يحقد ويحسد ويشتم ويسب ولكن له عائلة أم لا؟ فقال الواسطة: بلى يا مولاي له عشرة أولاد.

فقال سماحته: فما ذنب هؤلاء الذين ابتلوا بمثل هذا؟ فإن حرمة فهم يحرمون، وهذا ليس بصحيح..^(١)

(١) أذكيا الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص ٤١-٤٢.

وقال له بعض من يدعي العلم بحضرته: إنك تعطي من الوجوه من لا يحضر بحثك ولا صلاتك، فيجيبه السيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قائلاً: اسكت ولا تتكلم، دع الناس على حريتهم^(١).

والتاريخ المرجعي سجل مناهج وأساليب متنوعة في التعامل مع الأموال التي ترد على المرجع، وإن كانت أبواب الفقه الإسلامي غير خالية من تحديات وأطر في التعامل مع هذه الأموال. ولكن يبقى لاجتهادات الفقيه وأسلوبه العام في الحياة وفي الممارسة القيادية الدور الكبير في رسم السياسة المالية لمؤسسته المرجعية.

على هذا الأساس كانت السياسة المالية للسيد أبي الحسن الأصفهاني عبارة عن أسلوب خاص لعله يفترق عن أساليب كثير من المراجع سواء في عصره أو فيما بعده وحتى في عصرنا، فكان لا يرى أي فائدة من تكديس الأموال وتجميدها في الصرف، بل كان لا يرتاح حتى يفرق الأموال التي ترده كلها - مع ضخامتها - في وجوهها الشرعية. لذلك كان يتميز بالعطاء الذي لا يعرف الحدود والإنفاق الواسع حتى لو اضطرتة ذلك إلى الاستدانة.

وهذا الأسلوب لم يكن بدعة جاء بها السيد، فقد كان من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَام قد أسس لذلك،

(١) أذكيا الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٥٧.

حيث كان عليه السلام لا ينام حتى يفرق كل ما في بيت المال، ولكن مع ذلك كان هذا الأسلوب الذي اتخذه السيد أبو الحسن محل طعن وتهمة وتشهير، فكان البعض كثيراً ما ينتقد السيد بسبب عطائه اللا محدود، غير أن ذلك لم يكن يوقف السيد فأستش عن أسلوبه في الإدارة المالية.

وإذا كان هذا أسلوب السيد فإن ذلك يعني أن الحياة الإسلامية في ذلك الوقت كانت تعيش نوعاً من الازدهار، فالأموال التي كانت تصل إلى السيد ليست بقليلة.

فعندما انتهت الرئاسة العامة إلى السيد كان يعني ذلك أن عموم الشيعة بدأت تأخذ بتقليده، وقد قدروا بحوالي (١٠٠) مليون مقلد له على طول العالم الإسلامي.

وهذا يعني بالتالي أن ترد على السيد من الحقوق الشرعية المختلفة أموال طائلة، وقد لا يمكن إعطاء رقم دقيق عن حجم ما كان يصله، ولكن قدرت ميزانية السيد السنوية على وجه التقريب بالتراوح بين ٥٠٠ ألف و ٦٠٠ ألف دينار. وهذا الرقم يعني يحسابات اليوم مئات الملايين من الدنانير وهو رقم هائل وضخم كما هو واضح.

أما مجموع ما كان ينفقه شهرياً فكان يتراوح بين الـ ٣٦ والـ ٤٠ ألف دينار، والبلاد التي كانت ترده منها الأموال

كثيرة ولكن أشهرها كما ثبتها صاحب كتاب «الإمام السيد أبو الحسن»: إيران، الهند، أفغانستان، البحرين، العراق، الكويت، أفريقيا الشرقية، بورما، سوريا، لبنان، وأقطار إسلامية أخرى.^(١)

و الأرقام كثيرة، ويكفي أن نعلم إن عدد طلبة العلوم الدينية في النجف في ذلك اليوم كان لا يقل عن ٢٠ ألف طالب، وكان السيد قد خصص للقسم الأكبر من هؤلاء رواتب شهرية ليتمكنوا من مواصلة دراستهم. بل و كان يعطي الكثير من الطلبة دوراً للسكن، وكان يدفع إيجارات الكثير منها. هذا بالنسبة للأرقام، أما الإدارة المالية فقد برع بها السيد بشكل كبير.^(٢)

مما تقدم نستنتج أنه في عهد السيد الأصفهاني قده كان العلماء والطلبة يعيشون عصراً ذهبياً قل نظيره، حيث كان المرجع الأعلى لا يذخر جهداً من أجل توفير كل المتطلبات المعيشية اللاتقة بأهل العلم والتعلم، من أجل الاستغناء عن الناس، ومن ثم عدم الانسياق وراء أذواق العامة وأمزجتها، وأيضاً بهدف الارتقاء بمكانة العلماء والطلبة إلى مرتبة رفيعة من الشرف والعز والكرامة، وهو الأمر الذي ينعكس على شخصيات العلماء، ويعطيهم القدرة على إدارة الناس، وتوجيههم.

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ

- ٢٠٠٠ م، ص ١٢٥ - ١٢٧.

(٢) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ

- ٢٠٠٠ م، ص ١٢٧.

٦- الإصلاح بين الطلبة:

كان السيد الأصفهاني يسعى لوحدة كلمة العلماء، وإظهار تماسكهم وتآلفهم، وعندما تقع منازعات أو مشاكل أو سوء فهم بين العلماء، أو طلبة العلوم الدينية يسعى بسرعة للإصلاح بينهم، وإرجاع المياه إلى مجاريها.

وينقل في هذا المجال أنه وقع ذات مرة نزاع بين طالبين وضرب أحدهم بالسكين، وسمع السيد بهذه القصة التي وقعت في كربلاء. وعلم أن الطالب المضروب قدم شكوى إلى الشرطة ضد الطالب الضارب، فأرسل السيد أحد الأشخاص إلى الطالب المضروب يطلبه، ولكنه لم يوافق على الحضور. لأنه علم أن السيد إذا رآه سيأمره بالتنازل عن الشكوى. ولكن السيد أصر على حضوره فأرسل ثلاثة وسطاء، ثم أرسل ولده السيد حسين وقال: ائتني به بأية صورة. فأتاه به بعد إلحاح شديد، ومن ثم السيد طلب الطالب الضارب فحضر. وصالح بينهما وأعطى كمية من المال للطالب المعتدى عليه جزاء لما أصابه، وأصر عليه أن يذهب إلى الشرطة ويسحب دعواه، وبالفعل تم ذلك. وقد حرص السيد على أن يتم الأمر بأسرع ما يمكن حتى لا تشيع أخباره ولا يتطور إلى أكثر من ذلك. وبالفعل قد سوي الأمر كله ببساطة وبأقل من نصف يوم.

وفي قصة شبيهة إنه كان في النجف الأشرف عالم متنفذ

ولكنه كان عديم الأخلاق، فجاء ذات يوم مجموعة من طلبة العلوم الدينية إلى السيد أبي الحسن واشتكوا لديه على هذا العالم على أن أخرجهم من مدرستهم، وأسكن فيها جماعة من أصدقائه، وسألوا السيد هل نذهب و نشتكي عند موظفي الدولة ليأخذوا بحقنا؟ أجاب السيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا.. لأن هذا يسبب تفرقة بين كلمة العلماء، وهذا العالم وإن أساء بعمله هذا. ولكن علينا ان نحفظ أنفسنا بأنفسنا وهو أفضل. ثم أعطاهم كمية من المال وقال: استأجروا دوراً لكم واسكنوا فيها حتى يفرج الله عنكم.

وبعد فترة وعندما رأى ذلك العالم حسن سلوك السيد، ترك المدرسة وسحب أصدقاءه منها. ورجع الطلبة إلى مدرستهم بحكمة السيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. (١)

فالسيد الأصفهاني كان دوماً يعمل من أجل رفعة مكانة العلماء بين الناس، واستعادة هيبتهم، وثقة الناس بهم، ومن أجل ذلك كان حريصاً على إظهار العلماء كالبنيان المرصوص، وأنهم متماسكون ومتحدون في خدمة الدين والعلم والمجتمع، وهو ما ينعكس إيجاباً على نظرة الناس إليهم، والاستماع إلى أقوالهم، والسير خلف قيادتهم، ولا يمكن تحقيق كل ذلك إلا باحترام العلماء لبعضهم البعض، وإظهار التعاون فيما بينهم،

(١) المرجعية العاملة، السيد ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠ هـ

وبدون أي صراعات أو مناكفات أو عداوات قد تحصل، وهو الأمر الذي سعى الأصفهاني بكل ثقله المرجعي الكبير إلى تحقيقه، وهو ما تحقق فعلاً.

ملاحظات واستنتاجات عامة

وبعد أن سلطنا الأضواء على دور السيد أبو الحسن الأصفهاني قده في تعزيز قيمة العلم ومكانة العلماء، يمكننا أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات العامة المستوحاة من سيرته العطرة في هذا البعد المهم من حياة هذا المرجع العظيم.. وأهمها ما يلي:

١- أن نستفيد من سيرة هذا المرجع الكبير في تعزيز القيمة الذاتية للعلم والمعرفة، فالأهم إنما تتقدم عندما تتسلح بسلاح العلم والمعرفة في شتى أبعادها الدينية والدنيوية، أما عندما يسود الجهل والامية في أي مجتمع فإنه سيكون في الدرك الأسفل من التخلف والتقهقر الحضاري.

ونحن اليوم عندما نفتخر بمرجع كبير كالسيد أبي الحسن

الأصفهاني علينا أن نستلهم من سيرته العطرة في تعزيز قيمة العلم محفزاً لنا ولكل الأجيال القادمة للاستزادة من المعارف والعلوم كي نكون في طليعة المجتمعات والأمم المتقدمة حضارياً.

ومن الخطأ الفاحش أن يتحول الافتخار بعظمتنا ومراجعتنا الكبار إلى هروب من أن نقوم بواجباتنا ومسؤولياتنا على صعيد تعزيز القيمة الذاتية للعلم، وتشجيع العلماء.

٢- إن تعزيز قيمة العلم في فضائنا الاجتماعي يساعد في انخراط الأذكياء من طلابنا في السلك العلمائي، فالحوزات العلمية بحاجة دائماً إلى علماء متميزين في عطاءهم العلمي والمعرفي.

وكثيرون هم الذين يلتحقون بالحوزات العلمية في كل عام، لكن قلة من هؤلاء يظهرون تفوقاً علمياً متميزاً، وهؤلاء القلة بحاجة إلى دعم وتشجيع وعناية خاصة كي يبدعوا في مختلف المعارف والعلوم التي يكتسبوها من الحوزات العلمية.

٣- يساهم تكريم العلماء والاحتفاء بهم، في إيجاد الأرضية المناسبة للإبداع العلمي، وكذلك تشجيع البحث العلمي، أما اتباع منهج التلقين العلمي فقط، فإن ذلك لا يساعد على الابتكار والإبداع. والمطلوب هو أن يمتلك الطالب القدرة

على التحليل العلمي، والوصول إلى عملية الاجتهاد ليس في الفقه وأصوله وحسب، وإنما أيضاً في العلوم والمعارف الأخرى، وخصوصاً فيما يرتبط بالعلوم الشرعية.

٤- احترام العلماء هو احترام للعلم نفسه، وتكريم العلماء هو تكريم للعلم ذاته، والاحتفاء بالعلماء هو احتفاء بالعلم والمعرفة. من هنا، ينبغي أن يكون تكريمنا للسيد الأصفهاني منطلقاً بجعل ميلاده الشريف يوماً عالمياً لتعزيز قيمة العلم وتكريم العلماء المتميزين. وأقترح في هذا السياق أن تكون هناك جائزة سنوية بعنوان (جائزة السيد أبو الحسن الأصفهاني) لتكريم كل عالم مبدع.

٥- إن تركيز السيد أبو الحسن الأصفهاني على هذا الجانب المهم في إدارته للمرجعية العليا نابع من تشخيص الأولويات؛ فعندما رأى أن الاستعمار الغربي يستهدف بصورة مباشرة مكانة العلماء، وإسقاط هيبتهم عند الناس، والتشكيك في قدراتهم القيادية لإدارة المجتمع، ركز السيد الأصفهاني على هذه الأولوية باعتبارها من الأولويات المهمة في الإدارة المرجعية.

وعندما نستعرض تاريخ المرجعية سنجد في كل عصر هناك أولويات مختلفة، وهذا يدعونا أيضاً إلى أن نعي أولوياتنا، ونركز عليها، لتحقيق الأهداف النبيلة التي تسعى المرجعية

العليا، والدعاة إلى الله لتحقيقها.

فغياب الأولويات، وعدم الوعي بمتغيرات وتحديات كل عصر، يجعلنا نفقد البوصلة الصحيحة في الوصول إلى الغايات التي يسعى الدعاة إليها.

٦- أتصور أنه من المفيد جداً لو تشكل لجنة لتأليف موسوعة خاصة بالفقهاء الذين تسلموا زمام المرجعية منذ ظهورها بعد الغيبة الكبرى وإلى الآن، على أن تكون دراسة تحليلية لسيرتهم ومسيرتهم العلمية والعملية، وهذا العمل المهم - لو تحقق - سيكون فيه أكبر فائدة للعلم والعلماء، ولكل الباحثين عن سيرة المراجع، ولذاكرة التاريخ أيضاً.

نسأل من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لخدمة الدين، ونشر العلم، وتعميق القيم الروحية والمعنوية في المجتمعات الإنسانية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



ثبت المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأمين، السيد حسن، مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٣- الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٤- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٥- الحسن، السيد ضياء، المرجعية العاملة، هيئة محمد الأمين، طبع عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، غير مذكور مكان الطبع، ولا عدد الطبعة.

- ٦- الحكيمي، محمد رضا، أذكياء الفقهاء والمحدثين، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٧- الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم، المكتبة الحيدرية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.
- ٨- الخوئي، صدر الإسلام محمد أمين الإمامي، مرآة الشرق: موسوعة تراجم أعلام الشيعة الإمامية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، مطبعة ستاره، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ٩- الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ.
- ١٠- السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء، مؤسسة الإمام الصادق، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- ١١- الشاكري، حسين، ذكرياتي: الأعلام الذين عاصرتهم خلال ستين عاماً، مطبعة الغدير، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- ١٢- صلواتي، ياسين، الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٣- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقی، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

- ١٤ - مطهري، مرتضى، محاضرات في الدين والاجتماع، الدار الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٥ - موقع صحيفة الوفاق الإيرانية على شبكة الإنترنت.

المحتويات

٧.....	تقديم
٩.....	الزهد
١٢.....	دوره في صد المبتدعين
١٤.....	الفاجعة
١٥.....	وبعد الفاجعة
١٧.....	المقدمة
٢١.....	الفصل الأول: السيد أبو الحسن الأصفهاني الشخصية والسيرة
٢٣.....	بطاقة حياة
٢٩.....	أخلاقيات ومناقب السيد الأصفهاني
٢٩.....	أولاً- أخلاقه
٣٠.....	١- حلم عجيب
٣٣.....	٢- الزهد عن الدنيا
٣٤.....	٣- الكرم والجود
٣٧.....	ثانياً- مناقبه وصفاته
٣٧.....	١- الجهر بالحق

٣٩	٢- علو الهمة
٤١	٣- الذكاء وحضور الذهن
٤٢	٤- نشاط لا ينقطع
٤٥	٥- البصيرة النافذة
٤٧	خلاصة القول
٤٩	الفصل الثاني: السيد أبو الحسن الأصفهاني وتعزيز قيمة العلم ومكانة العلماء
٥١	العلم والعلماء
٥٢	أولاً: تعزيز قيمة العلم ونشره
٥٤	١- تأسيس المدارس و الحوزات العلمية
٥٧	٢- إرسال المبلغين والمرشدين
٥٩	٣- نشر الوكلاء في كل البلدان
٦١	٤- الإجابة على تساؤلات الناس
٦٣	٥- دفع الأموال من أجل نشر العلم
٦٧	ثانياً: تقدير العلماء والاحتراف بهم
٦٨	١- تربية العلماء
٧٠	٢- إعادة الهيئة للعلماء
٧٢	٣- احترام العلماء
٧٨	٤- المحافظة على سمعة الوكلاء
٨١	٥- إعطاء رواتب شهرية للعلماء والطلبة
٨٩	٦- الإصلاح بين الطلبة
٩٣	ملاحظات واستنتاجات عامة
٩٧	ثبت المصادر والمراجع
١٠١	المحتويات

المؤلف في سطور

- ولد في بلدة الحلة بالقطيف من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- كاتب وباحث في شؤون الفكر الإسلامي، وقضايا الشباب.
 - دراسات عليا في علوم الشريعة الإسلامية بالحوزة العلمية.
 - ماجستير في الشريعة الإسلامية من الجامعة الأمريكية بلندن عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
 - ماجستير في الثقافة والمعارف الإسلامية من جامعة المصطفى العالمية عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
 - دكتوراه في علم الاجتماع عن رسالته (العنف الأسري.. دراسة في المسببات والتائج والحلول) عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
 - شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية.

- تُرجم له في العديد من كتب التراجم والأعلام وكذلك في الكثير من مواقع الانترنت.
- قام بإعداد وتقديم مجموعة من المحاضرات على القنوات الفضائية المختلفة، كما شارك في العديد من اللقاءات والحوارات الإذاعية والتلفزيونية
- ساهم وأسس ورعى العديد من الأنشطة الثقافية والدينية والخيرية.

- صدر له من المؤلفات ما يلي:

- ١- الإمام علي الهادي عليه السلام.. قراءة تحليلية للسيرة الفكرية والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام، طبع الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ، دار البصائر، طهران - إيران. والطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الهادي، بيروت.
- ٢- الشخصية الناجحة، طبع أربع مرات: الأولى عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م مطبعة الرضا - الدمام. الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م دار البيان العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م دار المحجة البيضاء - بيروت.. والطبعة الرابعة عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، دار المحجة البيضاء - بيروت.
- ٣- الصعود إلى القمة، طبع ثلاث طبعات: الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار البيان العربي - بيروت،

- والطبعة الثانية عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان. والطبعة الثالثة عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، دار أطياف للنشر والتوزيع - القطيف - السعودية.
- ٤ - شرعية الاختلاف، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار الصفوة - بيروت، والطبعة الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار الهادي، بيروت.
- ٥ - فلسفة الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار المفيد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م مؤسسة البلاغ - بيروت.
- ٦ - الخمس.. فلسفته وأحكامه، طبع ثلاث طبعات: الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م دار المفيد العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م دار المفيد العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
- ٧ - الشباب.. هموم الحاضر وتطلعات المستقبل، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م مطبعة سيهات - السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
- ٨ - الاجتهاد والتجديد.. قراءة لقضايا الاجتهاد والتجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الطبعة الأولى


- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م دار الهادي، بيروت - لبنان.
- ٩- مسائل التجديد... قراءة لقضايا التجديد في فكر الإمام الشيرازي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، مكتبة الرضا - البحرين.
- ١٠- الحوار الإسلامي - الإسلامي.. رؤية من أجل إنماء السلم الأهلي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.
- ١١- ثقافتنا في عصر العولمة والإعلام، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.
- ١٢- خصائص الشباب.. من أجل أن يعرف الشباب أنفسهم، مطابع الوفاء - الدمام، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٣- المرأة في زمن متغير، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطبعة خليج آفان، سيهات - السعودية.
- ١٤- قواعد النجاح، مطابع الوفاء - الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٥- أخلاقيات الرسول الأعظم ﷺ.. دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية للرسول الأعظم، دار القارى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٦- ثقافة العمل التطوعي، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- ١٧- كيف تتعامل مع أولادك المراهقين: قواعد في فن التعامل مع المراهقين، مركز البيت السعيد، صفوى-السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ١٨- فقه النفقات الواجبة: دراسة في المفاهيم والأدلة والآراء الفقهية، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، قم-إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ١٩- تساؤلات الشباب الجديدة، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف-السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ٢٠- العلامة الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني: رجل العلم والأخلاق والسياسة، دار الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ٢١- الوصول إلى الأفكار الساخنة.. حوارات صريحة في الثقافة والفكر والسياسة، دار أطياف للنشر والتوزيع، القطيف-السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ٢٢- العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم، المنامة- البحرين، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٢٣- الجنس في حياة الشباب، دار أطياف للنشر والتوزيع، القطيف-السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ٢٤- فن صناعة التقريظ.. منهجية الدكتور الفضلي نموذجاً، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

- ٢٥- الشباب والثقافة المعاصرة.. رؤية قرآنية في معالجة التحدي الثقافي، مركز القرآن الكريم، صفوى-السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- ٢٦- فاطمة الزهراء (ع) والأدوار النهضوية للمرأة، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م..
- ٢٧- العنف الأسري: دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- ٢٨- المرجعية المتميزة.. السيد أبو الحسن الأصفهاني أنموذجاً (بين يديك)
- بالإضافة إلى الكثير من الدراسات والمقالات المنشورة في العديد من المجالات الفكرية والثقافية المختلفة



للتواصل مع المؤلف

<p>المملكة العربية السعودية - المنطقة الشرقية ص.ب: ٨٤١ القطيف ٣١٩١١</p>	
<p>٠٠٩٦٦٥٠٣٨٤٤٩٩١</p>	
<p>البريد الإلكتروني: alyousif@alyousif.org alyousif50@gmail.com الموقع على الإنترنت: www.alyousif.org</p>	